السنة السادسة العدد ٢٢ ١٥ ت ٢ سنة ١٩٠٣

المشرق

البركة الرسولية

هو الجندي اذا ما سمعَ في حومة الوغى صوت قائدهِ منهضًا لهمَّتهِ وباعثًا لعزيمتهُ زاد نشاطًا واندفع في الميدان لا يرهب الموت ولا يكترث لاهوال الحرب . وان كان هذا القائد هو ابو المؤمنين ورأس الكنيسة جمعاء ونائب المسيح على الارض يخصُّ بنظرةٍ من سموّ عرشهِ بعض ابنائهِ فيزوّدهم ببركتهِ

الرسوليّـة فأحرِ بهؤلاء ان لا يذّخروا وسعهم في الدفاع عن حوزة الدين وخدمة الكرسيّ الرسوليّ الذي جعلهُ الله كمنارة تستضيءُ باشعّتها امم الارض وملوكها

واليوم قد بشّرنا من رومية العظمى (في تاريخ ٩ ت ١) حضرة الاب لويس مرتين الرئيس العـام على الرهبانيّة اليسوعيّة انّهُ عرض على قداسة الحبر الاعظم بيُوس العاشر العددين الخامس عشر والسادس عشر من مجلّة المشرق حيث اوردنا مصاب العالم الكاثوليكيّ بموت البابا لاون الثالث عشر والحقناهُ بالبُشرى السارّة عن قيام خلفٍ لهُ اهلٍ بهِ ليرعى كنيسة الله. فلم يكتفِ قداسة الحبر الاعظم بان يتقبّل بما عُهد فيهِ من اللطف هذه الهديّة الزهيدة بل احبَّ ايضًا ان يتعطّف ببركة خصوصيّة على المجلّة وكتبَتها وقرّائها ناعتًا لها بمشروع رسوليّ وطالبًا لها الترقي والنموّ. فنائم مواطئ اقدام راعي الرعاة شاكرين لقداستهِ من صميم الفؤاد على هذه المنّة الفريدة باسطين اكف الدعاء الى ابي المواهب ليبلّغهُ أمانيهُ ويوطّد عرشهُ ويصونهُ بعينـهِ الساهرة سنين طوالًا لمجد الله وخير الشعوب

ولا غرو ان يكون الالتفات الذي خصّنا بهِ امام الاحبار اقوى باعث واعظَم منشّط لادراك الغاية التي توخّيناها منذ ست سنين اعني تعزيز اركان الدين ونشر راية العـلوم البشريّة بحيث يتحقّق الجميع انّ الدين والعلم كفرسي رهان بل اخوان شقيقان لا يقوم الّا بهما العمران ما اختلف الملَوان ولاح النيّران

اقدم المخطوطات النصرانية العربيَّة

نظرٌ للاب لويس معلوف اليسوعيّ

المقدمة

في المتحف البريطاني في لندن مخطوط لم يُدرج حتى الآن في فهرست المخطوطات العربيَّة المطبوع (Br. Museum: Two treatises on christian Theology, Or. 4950) ولذلك لم يزل يجهلهُ اكثر العلماء الذين يُعنَون بالآثار العربيَّة ولاسيَّما النصرانيَّة منها. ولهذا الكتاب شأن عظيم لقدمهِ ولم اعهد في مكاتب اوربَّة ومتاحفها مخطوطاً يفوقهُ قدماً بين المخطوطات النصرانيَّة العربية

ومن تصفَّح هذا الكتاب استدلَّ بمجرَّد النظر اليهِ على قدم عهده فانهُ مخطوط على ورق صفيق بقلم يأخذ من الخطَّين الكوفي والنسخي ويقرب من السرياني وهو الخطّ الذي ألفهُ نصارى العرب في القرن التاسع والعاشر فما بعد كما يُرى في الرسوم الفوتوغرافيَّة التي رسمتها السيّدة الانكليزيَّة جبسون (M. D. Gibson) عن مخطوطات دير طور سينا العربيَّة

وهذا الدليل مع قوَّتهِ يؤيدهُ دليل اوضح واقطع ألا وهو تاريخ الكتاب الذي يُرى في آخرهِ حيث ورد ما حرفهُ:

« تمَّ المصحف بعون الله وقوته ونعمته وكان كمال كتابه في اول يوم من ذقمبرس يكون من حساب سني الدنيا على ما يُقبل في كنيسة القيامة بيت المقدس سنة ست آلاف وثلثماية وتسعة وستين ومن سني الاكندروس سنة الف ومايه وثمنية وثمنين. ويكون من سني العرب في شهر ربيع الاوَّل من سنة اربع وستين ومايتين كتبهُ الخاطي المسكين الحقير اصطافني بن حكم يُعرف بالرملي في سيق ماري خريطن لمعلمه الاب الفاضل الطهر الروحاني انبا بسيل عمره الله. اذا انت قرات فاذكرني لا تنسا لا نسيك الله واقامك عن يمينه واسمعك ذلك الصوت البهي المحبوب المفرح اذ يقول تعالوا يا مباركي ابي رثوا الملك المعد لكم من قبل انشاء العالم. يكون لنا ذلك بشفاعة مرقريم الطاهرة وماري يوحنا وصلوات جميع الآباء الابرار امين امين »

فيكون اذن تاريخ هذا المخطوط سنة ٨٧٧ للمسيح ولا نعرف كتاباً نصرانيًّا

خطّ قبل هذا العهد صبر مثلهُ على آفات الزمان اللهمَّ الّا بعض مقاطيع من التوراة والاناجيل

ولعلَّ القارئ يسألنا وانّى حصل المتحف البريطاني على هذا السفر الجليل ؟ قلنا : انَّ لفي ذلك سرًّا لم يمكنّا كشفه مع تحفّينا في السؤال. وغاية ما علمنا انَّ الكتاب دخل المتحف المذكور سنة ١٨٩٥ واصله من بلاد الشرق. ولو لم يُنزع من اوَّلهِ ورقتان لاطّلعنا على فوائد أُخرى اغنتنا عن البحث

والمجلّد الذي نحن في صددهِ عبارة عن ٢٣٨ صحيفة وفي كل صفحة ٢١ سطرًا. وهو يتضمَّن تأليفين مختلفين احدهما في ٤٠ صفحة وهو الثاني لثاودورس ابي قرَّة اسقف حرَّان (راجع المشرق ٦ : ٦٣٣) في عبادة الصور نشرهُ بالطبع سنة ١٨٩٧ ارندزن في بونه (١. امَّا التأليف الآخر فهو في صدر الكتاب وقسمه الاكبر يتضمَّن ملخَّص العقائد النصرانيَّة في خمسة وعشرين بابًا في وحدانيَّة الله وتثليث اقانيمهِ وحلول الكلمة في احشاء العذراء مريم وتأنُّس ابن الله ولاهوت المسيح وصحَّة الدين المسيحيّ وانتشارهِ بين الامم الى غير ذلك من المباحث الجليلة التي عرضها صاحبها باجلى بيان واقطع برهان مستندًا في حججهِ الى آيات الكتاب واقاويل الآباء والدلائل النظريَّة على طريقةٍ قريبة المنال جزيلة المعنى لا يأباها في عهدنا ائمَّة اللاهوتيين وكبار الخطباء.

امّا مؤلف هذا الكتاب واسمهُ فسقطا بسقوط الورقتين الاوليين. على انَّنا لا نشكّ في انَّ كاتب هذا التاليف انَّما هو ايضًا ثاودورس ابو قرَّة اسقف حوان (٢. ولنا

---

١) وهذا اسم الكتاب Theodori Abu-Korra de cultu Imaginum libellus. Dissertatio philologica, Joannis Arendzen, *Bonnae* 1897

٢) بحثنا في المشرق (٦ : ٦٣٣) عن تاريخ ابي قرَّة المذكور ورجّحنا انهُ كان اسقفًا على مدينة قارة وعاش في اواخر القرن الثامن للمسيح واوائل التاسع. ثم وجدنا لهُ ذكرًا في بعض التآليف القديمة فنرويها هنا ليرى القرَّاء تضارب الاقوال في حقّ هذا الرجل الشهير. ١ً جاء في كتاب الاشراق في الاصول الدينيَّة لدانيال السرياني الماريديني « انَّ الروم قالوا بمشيئة واحدة وفعل واحد الى زمان مكسيموس الراهب وتاودوريقي الحرَّاني ويوحنَّا الدمشقي » فدعا ابا قرَّة تاودوريقيّ (ونظنُّهُ تصحيف تاودوريتي) ونسبهُ الى حرَّان وجعلهُ بين المناقضين لبدعة المشيئة الواحدة مع القديسين الجليلين مكسيموس ويوحنَّا الدمشقي. ٢ً وجاء في كتاب الشرق المسيحي للوكيان (٢ : ٨٤٩) نقلًا عن كتاب مخطوط قديمًا باليونانية انَّ ثاودورس هذا كان اسقفًا على مدينة حرَّان في سوريَّة المجوفة « ἐπίσκοπον γεγονότα χαράν τῆς κοιλῆς Σύριας θεόδωρον ». ٣ً ورُوي في كتاب مصباح الظلمة لابي بركات القبطي انَّ ابا قرَّة من كتبة النساطرة. ٤ً وفي قائمة

على ذلك بعض الادلّة : الدليل الاوّل ان هذا المجلّد بقلم واحد وورق متشابه . فلا يبعد ان يكون التاليف الاوّل لابي قرّة كما ان الثاني لهُ بلا شك . الدليل الثاني التشابه في اللغة بين التأليفين يدلُّ على ان الكاتب واحد . الدليل الثالث ان عربيّة هذا التأليف تُشبه شبهاً تامًّا في تراكيبها وخواصّها اللغويّة عربيّة الميمر الذي نشرهُ حضرة الاب قسطنطين باشا في صحّة الديانة النصرانيّة وهو لابي قرّة كما بيّنّا . الدليل الرابع طرق الكلام واساليبه ايضاً واحدة في هذا الكتاب وفي التآليف التي نعرفها لابي قرّة منها اتساعهُ في البراهين العقليّة واستعمالهُ للتشابيه الحسيّة والامثال الى غير ذلك ممّا امتازت بهِ تآليفهُ المحفوظة باليونانيّة او العربيّة لاسيّما انّنا لا نعرف قبل ابي قرّة كاتباً عربيًّا توسّع مثلهُ في العقائد النصرانيّة وشرحها شرحهُ

وفي هذه النسخة بعض خواصّ تفرّدت بها لا بُدَّ من الاشارة اليها . منها كتابة الألف في آخر الكلم على صورة ا طويلة كقولهِ « قضا ومعنا » بدلًا من « قضى ومعنى » . ومنها اختصار بعض الألفاظ كقول « منجله » يريد « من اجله » . وكذلك يبقي الواو والياء حيث يجب حذفهما فيكتب « لم يكون » و « لم يبيع » وهذه الاغلاط اكتفينا بالتنبيه اليها وقد اصلحناها في المثال الذي نوردهُ هنا

وقد نقلنا هذا المثال من اربعة ابواب وهي الخامس والسادس والسابع والثامن

مخطوطات لندن السريانية لِرَيت (Wright) في الجزء الثاني (ص ٩٠) « قصّة مار شمعون من زيتا اسقف حرّان ونصيبين المعروف عند العرب بابي قرّة » ويقال هناك انهُ كان في بغداد سنة ١١٣٥ للاسكندر اي سنة ٨٢٤ للمسيح . ٥ وبين مخطوطات مكتبة باريس جدال جرى في حضرة المأمون بين عبد يشوع جاثليق النساطرة وبين ابي قرّة الملكيّ وابي رائطة اليعقوبي . فيؤخذ من هذه الشهادات المتناقضة انهُ وجد كاتبان في زمن واحد عُرفا بابي قرّة . احدهما نسطوري اسمهُ شمعون من زيتا كان اسقفاً على حرّان (المجاورة للرها) ونصيبين . ولهذا تأليف جدليّ تناقلتهُ الايدي منهُ نسخ عديدة في مكاتب اوربّة وخزائن الخاصّة في الشرق . والآخر ملكي اسمهُ ثاودوروس او تاودوريقي ناصب البدعة المنوثليّة وهو صاحب الكتب اللاهوتيّة العديدة التي طُبع منها قسمٌ في مجموع الآباء اليونان ووجد منها قسماً الابوان الفاضلان القس قسطنطين باشا الباسيلي القانوني ولويس معلوف اليسوعي . وكان هذا اسقفاً على حرّان . ولكن حرّان هذه غير حرّان ما بين النهرين . ولكن يصعب تعيين موقعها . ويوجد عدّة امكنة في الشام بهذا الاسم منها حرّان العواميد في اللجأ . وحرّان في غوطة الشام . وحرّان في ايالة حلب (راجع معجم البلدان لياقوت ٢ : ٢٢٢) . ولعلّها قارة التي سبق لنا ذكرها فصُحّفت بحرّان . امّا دخول ثوادورس ابي قرّة بغداد فمحتمل لانّ الملكيين كان لهم فيها مطران من ملّتهم

ل . ش

بيَّن فيها المؤلف الاسباب التي حملت ابن الله على ان يتأنس ويلبس الطبيعة البشريَّة

القول في تأنس الله الكلمة وهو لاربع خصال

الخصلة الاولى

الخصلة الاولى من خصال التأنُّس ارادة (الله) اكرامنا بالجزء الذي بهِ تأنس. ومثَلُ اكرامهِ ايَّانا مثَل ملك اخطب لابنهِ من بيتٍ من بيوتات اهل مملكتهِ وجعل في نفسهِ ان ينقل اهل ذلك البيت اليهِ وينزلهم في جوارهِ ويخلطهم بنفسهِ ويدعوهم اهل بيتهِ ويشركهم مع ورَثتهِ كذلك الخالق اكرمنا بتانسهِ وبتوحيد بشرهِ بلاهوته وباختلاطهِ بنا ومعاشرتهِ ايَّانا ما صلح لنا. ثم ارتفع ببشره الى السماء وهو عتيد ان يأتينا ثانيةً فينقلنا اليهِ و يورثنا خيره ويشركنا بغناه

ومن اكرامهِ ايَّانا ايضاً تسبُّقهُ بخلقهِ الخليقةَ لِخلْقِ آدم ابينا. والله السابق للخليقة والمسبِّب لها وبسبقهِ للخليقة نستدلُّ على غناه عن كل ما خلق. وكما ان الماء سبب النبات وهو السابق لهُ وليس بالماء الى النبات من حاجةٍ وبغنى الماء عن النبات يُستدَلّ على ان النبات لغير الماء خُلق فكذلك يُستدلّ بسبق الخالق خلقهُ. على ان الخالق لغير خالقه خُلق والمخلوق لهُ الخالق لانهُ بعد الخالق كان كونهُ

ومثَل صُنع الله الحكيم مُحكم الانسان ما يُستَدل بهِ على احكام الله. مثَل رجل امتلك لهُ امرأةً ثم يأخذ في تهيئة ما ينبغي للتبنّي بها فاحضرهُ بيته قبل دخول المرأة اليهِ. ثم انهُ اتى بالمرأة بعد فوجدتْ كل ما ينبغي لها معـدًّا. فكذلك الخالق لم يزل في علمه مزمعاً بالتأنُّس فاعدَّ ما ينبغي لأُنسيَّتهِ قبل التأنُّس ثم انهُ تأنَّس بعد إحكامهِ الخلق لكنَّهُ خلَق الجبِلَّة التي منها تأنَّس خَلْق ما هو عتيد ان يُخلق لانسيَّتهِ لتكون الجبلَّة شاهدة على الخالق المتأنس عند معاشرتهِ الانس

ومن اكرامهِ ايَّانا ايضاً انهُ نادى في الخليقة: «لنخلق انساناً على صورتنا وشبهنا» وذلك هو ابونا آدم التُّرْبانيّ. وكيف تكون صورة آدم المحسوسة بشبه من ليس لهُ مجسة؟. فليس قولهُ «نخلق على صورتنا» بان للاَّهوت صورةً محسوسة ولكن لان ما لم يكن من المكوَّن عتيد لتكونهِ عند المكوِّن لهُ في علمه السابق فانهُ بمنزلة من قد كان. ولو زل في علمه السابق التأنس فطبع الانسان الاول على ما هو عتيد لهُ ليكون الانسان نفسه

دليلًا على ما هو عتيد اذا ما جاءهُ في صورته. فالسماء والارض وما فيهما من متاع العاجل والآجل للجزء الموحَّد باللاهوت خُلق ومن اجلهِ وصف الله نفسهُ في الكتب انسانًا والالزام ما يلزم الانسان في جوهرهِ وهو الذي لا يزداد ولا ينتقص ولا يغيّرهُ الغيار. من السماء نزل وفي جوهرنا ظهر ودعانا اخوتهُ وابناء واخلّاء. وعاشرنا سنين صغيرًا وكبيرًا يمثّل لنا بنفسهِ شرائع كلّ خير: لين وتواضع وصفح عن المُسيء. وانشاد الخير كلهُ الى الناس جميعًا ودفع السوء كلَّهُ عن الناس جميعًا. وان لا نكون نكافي مكان الشرّ شرًّا. وحب للبغيض ومصافحة للعدوّ وترْكان البغي والحقد وان لا ننتصر. وصلاة وتضرّع وصوم ذات طيّ اربعين يومًا طواها مثال نقتدي بهِ. فتعالى وتقدّس ربُّنا مكرمنا

الخصلة الثانية من خصال التأنُّس

وتانسهُ ايضًا ليعرفنا بتثليث وحدانيتهِ وكنه جوهرهِ. ومثَلُ الوجه الذي هدانا بهِ الى معرفة تثليث وحدانيَّتهِ ومحبَّتهِ في لطفهِ ولينهِ وانسهِ بقدر ضعفنا وقدر عزّهِ مثَلُ رجل ناطق اراد بأصمّ اخرس ضعيف الحيلة خيرًا فأومأ اليهِ بيدهِ في حاجته ايماء فانتفع الاخرس ولم ينتقص الناطق. فكذلك الله اللطيف الحسن التدبير في عزّهِ وضُعف جوهرنا اذ ظهر فينا في صورة البشر كاحدنا وتقلب تقلُّبنا وسعى مساعينا وكلّمنا بكلامنا وأومأ الينا كما يومئُ الناطق الى الاخرس فوصف نفسه بما ليس في جوهره. من ذلك قوله لاصحاب الصَّرْح بارض شنعر وهي التي سُمّيت بابل قال (تك ١١: ٧): نتزل ونفرّق الالسن. وقال ايضًا في اهل سدوم عند ابرهيم (تك ١٨: ٢١): ترلتُ لأتبيَّن جُرمَهم. وفي خلاص بني اسرائيل قال لموسى من العُلّيقة (خر ٣: ٨): ترلتُ لأخلّصهم. والنزول والصعود فيهِ الغيبة والشهود. ومن قوله ايضًا لآدم (تك ٣: ٩): يا آدم اين انت لعلّك ان تكون تناولت من الشجرة التي نهيتُك عنها. وقال لقاين (تك ٤: ٩): اين اخوك هابل. اذ لم يغبْ عنهُ صنيعهُ باخيهِ ولم يخفَ عنهُ مكان آدم. وقال ايضًا (تك ٦: ٦): ندم الله على خلقهِ (بني) آدم. وعلى تمليكه شاول (١ ملوك ١٥: ١١). والندامة لا تكون الّا على حال لم يكن صاحبها يرى سبيلها. فقد وصف الله نفسهُ بالجهل اذ هو نفيٌ من الجهل. وظهر لابرهيم في صورة بشر وناقلهُ الكلام في قوم سدوم طويلًا لا يخالفهُ ابرهيم في ظاهر خلقهِ بشيء ما خلا العزّ والقوة. وحزقيل وداود وشعيا رأوهُ في صورة البشر وناطقهم كما يناطق

البشرُ البشرَ ولم يكفِّهم الظاهر منهُ الشبيه بهم عن الشهادة عليهِ انهُ الرب من قولهم رأينا رب الارباب في كذا وكذا وعلى كذا وكذا ». فكل ما رأت الانبياء جزءا من الخالق اقتُراهُ جزءا من الخالق ؟ لا. ولكنهُ بالذي علم انها تطيق النظر اليهِ فبهِ أُعلن لها وظهر وبهِ كلَّمهم وناطقهم لطفاً منهُ لهم وحسنَ تدبيرٍ. ولولا ذلك لم يحتمل الخالق عزّهُ ولا قَوِيَ على كلامهِ. ومن النار فاقتاس (فاقتَسْ) آية المؤمن. كيف لولا انك تقتبسها بعود او بفتيل اذن لما قدرتَ عليها ولا انتفعت بها. فخالق النار اعزّ واعلى من النار وهو الطف واحكم من خلقهِ

ففي وجه الانس والطمأنينة ظهر ربُنا لاصحاب التوراة الاولى في وجه ما كان عتيد ان يظهر فيهِ للأمم فشبه ظهوره اذ ذلك شهادة منهُ واساساً لما هو صانع. فمثَل تقدُّمهِ في صورتنا لاصحاب الناموس الاول في خيلاء بشرنا شِبْه ما هو عتيد لهُ حقيقة ما نحن ذاكريه. فنقول ان الحكمة لله وحدهُ ومنهُ تعلَّم الخالقُ الحكم. ان الصياد اذا اراد صيد طير الماء احتال لها بحيلة وعمد الى قُرعةٍ عظيمة فقوَّر فيها ثُقبين نافذَين ثم القاها في ذلك الماء الذي فيهِ الطير وتركها أياماً كثيرة تصفقها الرياح يميناً وشمالاً حتى اذا اتى عليها حينٌ اطمأنت اليها الطير وأنست بها. فبعد ذلك يعمد الصيَّاد المحتال الى وثاق وسكِّين ثم يدخل الى الماء الذي فيهِ الطير والقُرعة فيُدخل رأسهُ في جوف القرعة ثم يمشي بها نحو الطير حيثما رآها من الثقبين اللذين كان ثقبهما فيها فيأخذ بارجل الطير فيغمسها في جوف الماء ويشدّها وثاقاً ويذبحها. فهذه حيلة من المخلوق. فالخالق أحكم وأحيَل فبحكم الحكيم ولطفهِ كان ظهوره للانبياء بخيال بشر حيلةً منهُ ليصيد البشر وشهادة للمؤمنين اليوم على المكذّبين لهُ فبالتي اراد ان يظهر فيها للامم حقيقةً بشبهها للشهود الاولين ظهر. شهدوا وقالوا « رأينا رب الارباب شبه بني البشر ». ففي وجه الانس والطمانينة اتانا ربنا بجوهرنا حقيقةً وليس بخيال بشر فقط كالذي كان ظهر لاصحاب الناموس الاول بل ببشريَّتنا وهي انسيَّة اجتبلها من الطاهرة العذراء مريم واتانا ربُنا فتولى دعوتنا وخلاصنا هو بنفسهِ ولم يولِهِ العبيد كالذي كان اولاً لمن كان قبلنا كقول النبي اشعيا اذ يقول (اش ٣٥ : ٤) : « لا ملاك ولا رسول ولكن الرب ياتينا بنفسهِ ويتولى خلاصنا » لهُ المجد والسجود الى دهر الداهرين امين

الخصلة الثالثة من خصال النانس

وتانسه ايضاً ليحرّرنا من العبوديّة ويفكّنا من اللعنة التي كنّا فيها اذ ذلك من عجزنا عن العمل الذي أُمرنا بهِ في ناموس موسى في قوله (تث٢٧: ٢٦) ملعون كل من لا يعمل بكل ما أُمر بهِ وينتهي عن كل ما نُهي عنهُ. ومثَل تحريرهِ أياناً وابطال اللعنة عنا مثَل رجل اجر نفسه من اخر يومهِ الى الليل فعمل العبد بعض النهار ثم عجز عن العمل. فلمّا ان رأى مولاه عجزهُ عمل عنهُ بقيّة نهاره فتمّم للعبد عند الليل اجرهُ لما عمل وما عُمل عنهُ. فكذلك المسيح ربّنا الرؤوف الرحيم بعباده عمل عنّا ما كنّا قد عجزنا عن عملهِ فحرّرنا بعملهِ من العبوديّة وفكّنا ايضاً من اللعنة الواجبة علينا بتقصيرنا عن تمام العمل بما أُمر بهِ بادخالهِ نفسهُ في حدّ اللعنة اعني صلبهُ بلا جُرم. وذلك انهُ مكتوب في ناموس موسى النبي (تث ٢١: ٢٣): ملعون كلُّ مصلوب. والمصلوب بجرمهِ استحقّ الصلب. وشهرته في الصلب هي التي صيّرتهُ في الناس لعنةً. والمسيح ربّنا صُلب بلا جرم فكان في منظر اللعين بادخاله نفسهُ فيما في المصلوب بجرم من اللعنة في حدّ المصلوب. ولو كان ما عمل بهِ المسيح ربّنا من السُّنن واجب عليهِ كما يجب على البشر اذن لكان عملهُ ذلك عن نفسه ولم يكن يتحرّر بهِ احد من اللعنة. وكذلك صلبهُ لو كان استحقهُ اذن لكانت اللعنة لازمة كما هو مكتوب ولم يكن بالذي يُفكُّ بصلبهِ احد من اللعنة. فليس بعبادة العبد حرّرنا من العبودية ولا بموت الميت اللازم لهُ الموت لا محالة نجونا من الموت. ولكن بتعبُّد ابن البشر الكلمة الحيّ وبصلبه المجيد وبموت المنتجب من الطاهرة العذراء مريم المحتمل للموت نجونا من اللعنة والموت. ويشهد على ذلك الرسول بولس اذ يقول (غلاطية٤: ٤): ارسل الله ابنهُ فكان من المرأة وصار من دون السُّنَن ليقتدي بذلك الذين هم تحت السنن. وقال يوحنا فم الذهب في قوله على الصليب: «هو الله ابن الله وهو ابن البشر من المرأة. هو مقدّر الجواهر كلّها وحدّد لها الحدود وصيّر نفسهُ من دون السنن للحدود وما لم يجب عليهِ ان يعمله عملهُ وما لم يستحق عليهِ بليّةً احتملهُ. حرّر المؤمنين بلاهوتهِ وربوبيتهِ وبنوتهِ من الله الاب مما كانوا لهُ مستحقين ويبقى المكذبون بهِ من اليهود في العبودية واللعنة كقوله لهم (يو ٨: ٣٦): ان لم يحرّركم الابن تبقون عبيداً. وقولهُ ايضاً لهم (يو٨: ٢٤): ان لم تقرّوا باني

انا هو تموتون بخطيئتكم . ويقول (يو ٨ : ٥١) : والمؤمنون بي لا يذوقون الموت بل لهم حياة الخلد ولا حساب عليهم . أفلعلّك أيها السامع تظن ان قولهُ « ان لم تقرُّوا بأني انا هو » انما اراد منهم على ان يقرُّوا بهِ انهُ انسان ؟ فلا تظن هذا بل اعلم ان الايمان انما يجب على الغائب الخفي فاما ما ظهر من الامور فانها معروفة لانهُ مَن ظهر لهُ امر فابصرهُ بعينهِ ثبت في صدره الى الابد فينشرهُ ويحدث بهِ ولا حمد لهُ . ولو انهُ أُعطي عطيَّة أن يجهل ما عرفهُ عقلهُ لما وجد الى جهله سبيلًا . فالايمان الى الانسان ان شاء آمن وان شاء انكر وعليهِ الثواب والعقاب فنحن المقرُّون انهُ الله الاول معاشر بني اسرائيل وهو هو الآخر معاشر الحواريين والشاهد على ذلك هذا الرسول بولس اذ يقول (عب ١ : ١) : في وجوهٍ كثيرة وانواعٍ شتَّى كلَّم الله آباءنا في الانبياء اولًا وفي زماننا هذا كلَّمنا بابنهِ » فباقرارنا بالله الظاهر بيننا ببشريَّتنا صار لنا عملهُ وبطلت بهِ اللعنة عنَّا وبقي المكذّبون بهِ من اليهود في اللعنة بجرمهم وكفرهم بنعم الله وبصلبهم ربَّهم الذي بهِ تمَّت خطاياهم وكمل جرمهم . فليس منهم احد خلص من اللعنة لانهُ لم يتمم احد منهم ما أُمر بهِ ونُهي عنهُ في الناموس الاول من موسى كاتبهِ الى آخر من يبقى منهم على الارض . فليس احد منهم استوجب الملكوت بعمل بل كلهم عصوا وهلكوا بمعصيتهم وموسى اكبرهم واعزّهم لم يستأهل الدخول الى الارض التي أُوعدوها ويشهد هو على نفسه في التوراة فكلهم ميتون بمعصيتهم . وذلك لو ان الرجل منهم عمل بكل ما أُمر بهِ وتجنَّب كل ما نُهي عنهُ بعد ان يكون نقص خصلة واحدة كان قد استوجب اللعنة . والملعون عاصٍ والعاصي ميت بمعصيتهِ الَّا من انعم الله عليهِ وصفح عنهُ واجاز عملهُ وهم النبيون والصديقون والشهداء . وذلك انهُ مكتوب في ناموس موسى نبي الله (تث ٢٧ : ٢٦) : يعمل العامل كل ما أُمر بهِ ونُهي عنهُ في الناموس ومتى لم يعمل بكل ما أُمر بهِ ونُهي عنهُ يكون ملعونًا . فعمَّت اللعنة الناس اجمعين . وانَّ العامل القوي الله الرب يسوع المسيح تأنَّس وعمل العمل الذي من اجلهِ وجبت اللعنة على العباد وكان عملهُ عن المؤمنين بهِ . فبعملهِ ابطل اللعنة عنَّا وبايماننا حرَّرنا من العبوديَّة فاستوجبنا بذلك ملك السموات فنحن باعمالنا وهؤلاء باعمالهم نحن بايماننا بالله الكلمة الحيّ المتانس يسوع المسيح استوجبنا ملك السماء وطُلب من بني اسرائيل عمل

يستوجبون بهِ رضا الله فوُجدوا ضعفاء ولم يكن لهم ايمان يستدركون بهِ تقوى الله فبقوا في مفازةٍ تقطع سالكها بالعطش. ولقد انطرد بين ظهرانيهم حجر الدين وجرت انهارًا فلم يستقوا (١ كور ١٠ : ٤) : ونحن آمنّا بالذي دعا الى الايمان بهِ. فكان لنا في المفازة عين تطّرد. فشربنا منها وفي استقائنا منها احتكرنا ونحن بها ريّانون الى الابد لهُ المجد والقدرة والسجود الى دهر الداهرين امين

الخصلة الرابعة من خصال التانس

وتأنُسهُ ايضًا ينبت في قلوبنا العلم اليقين بالحيوة من بعد الممات وينقذنا من الشيطان الغالب لآدم ابينا والمتجوّر على ولده. ومثل هدايتهِ اياّنا الى علم البعث مثَل اعتبار انسان بحِمَى دانقٍ واحد من ذهب ام فضّة يُستدل بهِ على الف مثقال واكثر أُخذ منهُ الدانق. كذلك استدللنا ببعثة المسيح ربّنا من بين الموتى على بعثة الناس كلّهم

ومثَل غلبة الشيطان واستنقاذ رعيته من يديهِ مثَل رجل كانت لهُ غنم وكان الى جانبها ذئب عادي لا يزال يضرب فيختلس الغنم وان الرجل عمد الى جلد شاة من غنمهِ فلبسهُ ثم رقف وسط الغنم كاحدها ما يُنكَر منها حتى اذا اقبل الذئب كعادتهِ بادرتهُ الشاة المتنكّرة فطارَدَتهُ طويلًا وحالت بينهُ وبين الغنم. فلمّا ان رأى الذيب ما قد جاءت بهِ الشاة من القوّة ومناصبتها اياّهُ ظنّ الذئب في نفسهِ ان الغنم قد تحولت فصارت في القوّة مثلها فولى الذئب هاربًا. فهذا حكم من المخلوق وحيلةٌ والله احكم واحيل.....

ومن حكمتهِ وحسن تدبيره انهُ قضى بالموت على آدم وولده في اكلهِ من ثمرة الشجرة فغصَّ بها آدم واستوجب بها الموت واورث ولدهُ بعدهُ الموت فمضى الدهر والازمان بمن مضى من الناس فصاروا رميمًا ولم يروا انَّ لشيء من الذاهبين رجعةً وظنوا ان الموت هلاك لا وجود لهُ. ثم قالوا ما اكلهُ السبع والطير ودوابُّ البحر مع ما سحقهُ طول الدهر فصار ترابًا كيف يعود الى ما كان اوائله فوضعوا النوح واعلوا البكاء والتولول على موتاهم ولم يعتبروا فيما في ايديهم من الحكم فيقيسوا بها حكمة الله الاعلى. ومن تحكُّمهم تمييز تربة الارض وتصنيفها من الجواهر ودود القز ايضًا بعد موته وذهاب الروح منهُ وتصيّرهُ جلود يابسة يحيونهُ بحيلتهم. فان يكون من لم يبتدع خَلق

الدود اول مرّة يحييه من بعد موته. فالمبتدع للشيء اولًا هو على احيائهِ بعد موته احكمُ وأقدر. فلن يعجز الصانع الحكيم على اصلاح ما انكسر من صنعته اذا كان هو المبتدع لهُ اولًا

ومن حكمته وحسن تدبيره انهُ رأى الرعيَّة قد غلب عليها الشيطان الغالب لآدم فاراد غلبته واستنقاذ الرعيَّة من يديهِ اذ لم يغالبهُ بالعزّ الذي لا يقام لهُ. ولكن تجلَّل بأُنسيَّتنا من جبلَّة آدم فقاتل بها قاتل الانسان الاوَّل حتى انهزم واستنقذ رعيَّتهُ كما طارد الذئب صاحب الغنم في جلد شاة من غنمهِ حتى انهزم فكانت الغلبة عند الذئب للشاة. فكذلك الله الحكيم اخفى لاهوتهُ في آدم فقابل بها الشيطان الغالب لآدم حتى هرب وأُعدَت الغلبة لآدم. وذلك ان الشيطان اتى المسيح ربّنا في صيامهِ فقال لهُ (متى ٤: ٣): قل لهذه الحجارة تكون خبزًا. فماذا تقول في قول الشيطان هل كان واثقًا بقول المسيح ربّنا ان هو قال للحجارة «كوني خبزًا» تكون. فقد علم انَّ من قدر على ان يصيّر الحجارة خبزًا هو على ان لا يجوع اقدر. الَّا ان المسيح ربّنا هو المهيّج للشيطان لما قال. ومانعهُ من ان يعلم الاخرى. وذلك ان المغلوب في الفردوس اوَّل مرَّةٍ في اكلهِ غُلب وبها رأى العزيز ان يغلب الغالب ليكون المغلوب للغالب لهُ قاهرًا. وذلك لو ان انسان مُنع حوائجه كلها حتى يبالغ مجهودَهُ من كلّها بالسواء. افن كانت حاجتهُ الى الطعام اول الحوائج كلها يُعنى بها. ولو عُرض على انسان من الحوائج كلّها واحدة بعد فقده ايَّاها الى ان استوى فيها في الحاجة لم يختر على الطعام شيئًا

ومن حكمتهِ وحسن تدبيره اذ اراد ان يجترَّ الناس الى معرفة البعث واليقين بالرجعة لاهل القبور انَّهُ لم يأتِ الناس كبيرًا او غريبًا لا يُعرَف فيقع الشك فيهِ والامتراء. ويجد اهل الجحد والانكار لبعثته ما يحتجُّون بهِ على إبطال انسيَّته وذلك انَّ الشيطان قد يتخيل بشرًا ويتراءى في صورة انسان غير انهُ لا يوجد لهُ ثبات ولا مجسَّة ولا بقاء. لما يعاين الناس منهُ فلذلك لم يأتِ المسيح ربّنا خلقةً كبيرًا ام غريبًا ولكن حُبل به وولد من العذراء مريم وهي عذراء ونشأ في مولده كما ينشأ الانسان. وسعى مساعي الانس وتقلَّب تقلُّبهم في الاكل والشرب والنوم واليقظة والراحة والشخوص والسؤال عن الامر كالجاهل بهِ مع العبادة التي يعرفها الناس من الناس لله الرب من شرائع بني اسرائيل وسننهم. فلم يدع المسيح ربّنا نقطةً ممَّا أُمر بهِ ونُهي عنهُ في التوراة الَّا احكمهُ عملًا

وكان عمله عن المؤمنين بهِ. فابطل بعمله عنهم اللعنة وحرّرهم بايمانهم بهِ فصاروا ابناء واخلاء واخوة ومحا عنهم اسم العبودية

ومن حسن تدبيره ايضاً جسُّ توما لجسدهِ عند جحوده بعثتهُ. وذلك انَّ توما قال لاخوته (يو ٢٠: ٢٥): لست بمصدّق ببعثة المسيح حتى اجسَّهُ بيدي. وما الذي اراد بجسّهِ أما كان يكتفي بالنظر اليهِ فقط. لم يكن بالذي يكتفي بشيء من خصالهِ سوى المجسَّة وذلك ان الشيطان قد يتخيل ويغر الناس في الخصال كلّها سوى المجسَّة فانها ليست في جوهره. والآيات قد تظهر للناس على وجه الارض بعضها حق من الله وبعضها من الشيطان ما يعرف الناس حقيقتها من باطلها في شيء من الخصال ما خلا المجسَّة والبقاء. فلذلك اراد توما ان يجسَّ من قد رأى منهُ الآيات والجوائح وقال في نفسه: ان مَن قد رأيت منهُ الآيات والجوائح ذلك الشخص هو الله. فان كان هو المنبعث حقًّا فان لهُ مجسَّة وان كان الذي رأوا هو خيال فان صاحبها كذلك. ولذلك قال لاخوته: لستُ بمصدّقكم بما تخبروني من بعثة المسيح حتى اجسَّهُ. وكان قوله في علم ربّنا يسوع المسيح قبل ان يقولهُ. وان المسيح ربّنا عاد اليهم بعد ايّام الى العلّيّة التي كانوا فيها فدخل على التلاميذ والباب مغلقٌ فقال لهم: السلام لكم. ثم دعا توما فقال لهُ: هات يدك فجسَّني ولا تشكَّ فيَّ واعلم ان الخيال ليس لهُ لحم ولا عظام كالذي تراهُ لي. فلمّا ان حسَّ الشاب ربَّهُ الدقيق في عقلهِ ذهب عنهُ ما كان رأى في نفسهِ لعلَّهُ خيال ثم جرَّهُ عقلهُ الى ان آمن بهِ انهُ ربّهُ والههُ. وكان هو اوَّل المؤمنين بهِ بعد يوحنَّا المعمدان في قولهِ ربّي والهي. فكان من ردّ المسيح ربّنا عليهِ: «الآن حيث ابصرتَ آمنت طوبى لمن لم يبصرني وآمن بي». ونحن على ايمان توما وعلى اقرارهِ ان المجسوس في العلّيّة بيد توما هو ربّنا والهنا ولا اله لنا غيرهُ. وقد شهدت الرسل في الابركسيس على لسان يوحنَّا بن زبدى كاتب الانجيل على ان المجسوس بايديهم هو الله الذي لم يزل اذ يقول يوحنَّا في راس رسالته عن جميعهم (١ يو ١: ١): الذي لم يزل في البدء الذي رأيناه باعيننا وسمعناه باذاننا وجسسناهُ بايدينا. ومن قوله ايضاً في آخر رسالته هذه قال عن جميعهم (١ يو ٥: ٢٠): «نعلم حقًّا ان ابن الله جاءنا فاعطانا علمًا بهِ عرفنا الحقّ ونكون عليهِ بابنه يسوع المسيح وهو الله الحقّ وحياة الخلد» فليس ما كان من المسيح ربّنا من الخصال شبه ما في البشر من الحاجة والتوجع بغالب لهُ ولا قاهر ولا اتاه شيء قسرًا عليهِ ولا جبرًا لهُ

بل عن رضًى منهُ وقد كان قادرًا على ان لا يكون كل ما كان منهُ من ضعف ومما نحن ذاكريهِ من تقلُّبهِ. فاعتبرْ أيها المؤمن من قولنا ان المسيح ربّنا لم يلزمهُ شيء من الضعف قط ولا جُبر كما يلزم الانسان في جوهره. من ذلك صومه اربعين يومًا وليالي لم يذكر انهُ حال فيها حتى اذا فرغ من صيامه عند ذلك قال (متى ٤ : ٢) : اخيرًا جاع. والصائم من الآدميين لم يأتهِ الجوع في ساعة ولا في يوم ولكنهُ يبدأ من اول صومه فيستنشق الهواء ويزداد في الجوع. وان المسيح ربّنا صام اربعين يومًا طواها. فلما ان انكروا ذلك منهُ اظهر الجوع ووصف نفسه بهِ لكيما لا تنكر انسيته. وقال الروح ايضًا (متى ٢٦ : ٣٩) : انهُ تنحّى عن تلاميذه فصلّى ودعا بصوتهِ: ابتاه أَجِزْ عني كاس الموت. ثم رجع الى تلاميذه فوجدهم نيامًا. فقال لهم: ما تستطيعون تسهرون معي ساعةً واحدة. ثم عاد الى مكانه فدعا الثانية والثالثة ورجع الى تلاميذه فقال لهم: ناموا الآن واستريحوا فقد دنا ذلك الذي يسلّمني. فاقبل يهوذا ومعهُ الشُّرَط فقال لهم المسيح ربّنا: لمن تريدون فقالوا لهُ: نريد ليسوع. فقال لهم: انا هو فولّوا راجعين وخرّوا على وجوههم. ثم عاد فقال لهم المسيح ربّنا: من تريدون. فقالوا لهُ: نريد يسوع. قال لهم: قد اخبرتكم اني انا هو. وهو قبل ذلك في مثل طلقة المرأة من الجزع. وقال ايضًا (متى ٢٦ : ٣٨) : ان نفسي لحزينة الى الموت». وقال ايضًا (يو ١٠ : ١٨) : ليس لاحد الى أخذ نفسي سبيل انا الذي اضع نفسي وانا آخذها ايضًا وليس لاحد عليها سلطان ان يأخذها مني». فمن كان لهُ سلطان على نفسه ان يحييها بعد موتها كان لهُ سلطان الى ان لا يوجع. وليس دفع الاوجاع بأعسر من احياء النفس. وقيل ايضًا انه اتاه الملاك لتقويته. وان من ايمان النصارى علامةً ما لا شك فيها ان لاهوت المسيح ربّنا منذ توحدت بانسيته لم تفترق ولم تغبْ ولكنها في البطن الطاهر وفي الصليب وفي القبر وهي الى الابد لا تفترق. فهل يُحتاج في بيت طلعت فيهِ الشمس الى ضوء المصباح. وما قد ذكرنا من المسيح ربّنا من الضعف وما لم نذكرهُ بمشيئتهِ كان وعن رضًا منهُ. ولولا ما ظهر منهُ ما هو للانسان لازم في جوهره من الجزع عند البلاء والجوع عند الصوم إذن لقيل ما هذا ببشر. وكان ذلك مما يبطل بهِ بعثتهُ ويبطل بابطال بعثتهِ عند النّاس بعثة الموتى عامّةً ولكن المسيح ربّنا بذل نفسه للموت المشتهر في اشهر الأيام وأجمعهِ اهلًا. وكان صلبه يوم الجمعة بتوفيقهِ. وذلك ان المصلوب في بني اسرائيل لم يكن يُترك

ليلة السبت على الخشبة ولولا انهُ صُلب يوم الجمعة فانزل من ليلتــه اذن لتَمسَّخ فوق الصليب ولم يُدفن. ولكن وفَّق صلبه يوم الجمعة ثم وفَّق لهُ رجلًا من النــاس فاستوهبهُ من الوالي فأحدرهُ ثم ادرجهُ في ثياب ووضعــهُ في قبر جديد لم يكن وُضع فيهِ احد من الناس وكان ذلك بتوفيق المسيح ربّنا وذلك ان القبور في ارض المغرب مغاور وبيوت من حجارة يلقى في البيت الواحد والمغارة الواحدة بشر كثير. فلو ان المسيح ربّنا وضع في تلك البيوت التي فيها الموتى اذن كما صدَّق بَعْثَــهُ احد من الناس. ولعلَّ القائل يقول هو احد هؤلاء الصرح ولم يكن عليهِ من حجَّة ولكن المسيح ربّنا وفَّق لهُ قبرًا جديدًا ووفق لهُ ايضًا اليهود الذين سعوا بهِ الى ان قالوا للوالي (متى ٢٧: ٦٣): انَّا سمعناه يقول لاصحابهِ اني اقوم بعد ثلاثة أيَّام ونحن نتخوَّف ان يسرقه اصحابه. فامروا بحَرْسهِ لئلَّا يكون لهم حجَّة يعتلُّون بها. حتى اذا كان صباح الاحد انبعث كما اخبر تلاميذه وبقي على الارض بعد قيامته اربعين يومًا ليصدّقوا ببعثتــه واكل وشرب وجُسَّ باليدين ليستقر عند الناس الايمان بانسيته. فلمَّا ان رآهُ من كان قد رآهُ على الارض وعلى الصليب وفي القبر ومنبعثًا ومقيمًا على الارض في حال ما كان اولًا اتخذوا قياسًا لبعثة الاموات كلّهم... لهُ المجد والقدرة والسجود ولابيهِ وروحه الى دهر الداهرين امين

التراسل الكهربائي

لجناب الاديب ميشال افنــدي الياس سماحه

اثبتنا في مقالة سابقة (المشرق ٨٦٧) الطرائق المتعدّدة التي سوَّلها العقل للبشر في كرور الادهار للتراسل بين البلاد وترقية اسباب الألفة بين الشعوب. الَّا انَّ القرون الاخيرة قد بلغت من ذلك مبلغًا لم يَدُر على خلد الأقدمين وذلك باختراع احد عوامل الطبيعة المكنونة التي عرف العلماء السابقون اسمها ولم يقفوا على قواهــا العجيبة نريد الكهرباء.

قيل انَّ اوَّل من ذكر الكهرباء احد فلاسفة اليونان اسمهُ تاليس الميليطي نحو ٦٠٠

سنة قبل المسيح. اختبر قوّتها في الكهرب الذي يدعوهُ اليونان إلكترون (ἤλεκτρον) ومنها اشتقّ المحدثون اسم الكهربائيّة في لغتهم. على ان قدماء اليونان والعرب من بعدهم وقفوا عند هذا الحدّ ولم يبحثوا عن خواصّ هذه القوّة السرّيّة ومفاعيلها في الاجسام حتى قام نحو سنة ١٦٥٠ احد العلماء الالمانيين اسمهُ اوتو دي غريك (Otto de Guericke) من مغدبورج فبيّن انّ بعض الاجسام كالكهرب والزجاج والملكّ اذا دُلكت لا تجذب فقط الموادّ الخفيفة كما هو المشهور لكن تدفعها ايضاً

ثم اكتشف في اثر ذلك خاصّيّة أُخرى للكهرباء وهي ظواهرها النوريّة واخترع لبيان الامر آلةً كهربائيّة اتّخذها العلماء من بعدها كوصلةٍ لاكتشافاتٍ أُخرى مهمّة اخصُّها اكتشافات دوفاي (Dufay) في اواسط القرن الثامن عشر واليهِ يعود الفضل في تعميم مبادئ سلفائهِ. فانّهُ بيّن بالاختبار انّ كل الاجسام قابلة التكهرُب اذا فُصل بينها وبين الارض باداة عازلة كالزجاج والراتينج ثم استدلّ على ان الاجسام المتكهربة تجذب الاجسام التي ليست بمتكهربة فاذا تكهربت دفعتها عنها. فاستنتج انّ الكهربائيّة على نوعين دعاهما بالكهربائيّة الزجاجيّة والكهربائيّة الراتينجيّة ثم أهمل هذا التقسيم فدُعيت كهربائيّة الاجسام المدلوكة بالحرير الكهربائيّة الايجابيّة امّا المكهربة بالاجسام الراتينجيّة فدُعيت بالسلبيّة

ولم يزل رجال العلم يجدُّون وراء البحث والتنقيب في خصائل الكهرباء حتى قام الاستاذ غلفاني من بولونيا واكتشف ما للسيّال الكهربائي من التأثير في المعادن. وتقفّهُ الطبيعيُّ ڤولتا فتوصّل الى اكتشاف اسرارٍ دفينة من الكهربائيّة الكيميويّة. وسعى غيرهُ من العلماء جهدهم وراء هذا العلم وكشف النقاب عن مكنوناتهِ حتى يومنا فابرزوا للعيان عالَماً جديداً لا يزال يتّسع كلّ يوم نطاق فوائدهِ

وفي مقدّمة عوائد الكهرباء انّها صارت الوسيلة الكبرى للمواصلات بين اقاصي المعمور مذ يوم عرف العلماء سرعة انتقالها التي تبلغ في الثانية ١٨٠,٠٠٠ متر عند مرورها في اسلاك النحاس و ١٠٠,٠٠٠ متر في اسلاك الحديد. وليس التلغراف سوى نتيجة هذا الاختبار

التلغراف الهوائي

ظهر اوّل تلغراف كهربائي في فرنسة سنة ١٧٩٢ بهمّة احد كهنة هذه الدولة اسمهُ كلود شاپ (Chappe) اقام مناور كهربائيّة بين ٢٩ مدينة من مدن بلادهِ جعل لها محطّات وحرساً كانوا يرصدون اشارات النور وصورهُ الاصطلاحيّة فينقلونها من محطّة الى أُخرى حتى تبلغ غايتها وتتمّ فائدتها وبقي التلغراف الهوائي مستعملاً نحو خمسين سنةً لنقل الاخبار. ويلتجئ اليوم اصحاب المناور البحريّة اليهِ بدلًا من المصابيح الموقدة بالغاز او البترول فيرسلون الاشعّة الكهربائيّة الى مسافات بعيدة متقطّعةً فيأخذ ارباب السفن برؤياها حذرهم. ومن هذا الصنف منارة پانيه في مرسيلية فانَّ نورهـا يبلغ الى مسافة نيّف و ٢٠٠ كيلومتر (راجع المشرق ٤: ١٠٤٨)

التلغراف السلكيّ

هـذا وان التلغراف الهوائي مع فوائدهِ لم يكن ليفي بالمقصود في ظروف عديدة لاسيّما في فصل الشتاء. وعند انتشار الغيم فاخذ العلماء يبحثون عن طريقة أُخرى اثبت واصلح لنقل الاخبـار. وكان الطبيعيّ اورستد (Œersted) وجد في تلك الاثناء مفعول المجرى الكهربائيّ في الابرة الممغنطة اذ ينحيها عن استوائها ففتح ذلك بابًا جديدًا لاختراع التلغراف ذي الاسلاك وجدَّ العلماء وكدُّوا ذهنهم الى ان فكُّوا المعضل وازالوا المشكل ونصبوا الاسلاك بين البلاد. فكان اذا جرى السيَّال الكهربائي من بطاريّة عند الباعث في بلد وبلغ الى ابرة عند القابل في بلد آخر جذب مغناطيسٌ هناك تلك الابرة وقطع بذلك المجرى الكهربائي وبانقطاع المجرى بطل عمل المغناطيس فعادت الابرة الى مكانها فيعمل فيها ثانيـةً مجرى السيَّال فتتمغنط ثانيةً وهلمَّ جرًّا. فهـذه الحركات اتّخذها العلماء للدلالة على المعاني. امَّا بان ترسم الابرة حرفاً من حروف الهجاء او نقطاً وعلامات اصطلاحيّـة يُستخرج منها معنًى. واوّل سالك تلغرافي نُصب نصبـهُ ويتستون (Wheatstone) الانكليزيّ في لندن ومورس (Morse) الاميركي في الولايات المتحدة ولم يزل ينتشر هذا الاكتشاف حتى صار لهُ السهم الأفوز في التراسل بين كلّ اقطار العالم وذلك بسرعة كسرعة البرق فاجاد من دعاهُ في بلادنا باسمهِ

وكما نُصبت الاسلاك التلغرافيّة على قوائم خشبيّة في البرّ كذلك اتّخذت القلوس

التلغرافيَّة في البحر. وقد ازدادت هذه القلوس عددًا في البحار حتى انَّ اليوم قد بلغ عدد السفن التي تُعنى باصلاح الخطوط التلغرافيَّة في مياه الاوقيانوس اربعين سفينة (راجع مقالة موسعة في التليغراف للاب فابر اليسوعي في المشرق ٤ : ١٦٧—١٧٣)

التيلوتغراف

ومن نتائج الكهربائيَّة التيلوتغراف وهو نوع من التلغراف كان اختراعهُ سنة ١٨٦٤ ومن فوائدهِ نقل الرسائل الكتابيَّة من يد الكاتب الى المرسل اليهِ بغاية الضبط والسرعة وقد جاء في احد اعداد المشرق من السنة الرابعة (ص ٩٩٢) مقالة عن وصف جهاز هذا الاختراع وتحسُّنهُ

ومما ورد مؤخرًا في الجرائد وصف لاختراع آلة حديثة الصنع من نوع التلغراف تنقل فضلًا عن صورة الكتابة رسم الكاتب الى مكاتبهِ مع الرسالة الكتابيَّة على غاية المطابقة والاتقان والسرعة. وهذه الآلة لا تزال تحت التحسين والامتحان

التلغراف الأثيري

اكثرت جرائد العالم في المدة الاخيرة من ذكر التلغراف الأثيري الذي لا سلك لهُ وهو المعروف بتلغراف مركوني وذلك نسبة الى مخترعهِ العالم الايطالي مركوني الشهير وقد وصفت المجلَّات العلميَّة هذا الاختراع وفي المشرق (٢ : ٦٧٣) مقالة حسنة للاب كولنجت في بيان خواصهِ وما يؤمل ان يأتيه من الفوائد لاجل التراسل خصوصاً للملاحة البحريَّة التي تفتقر لهذا التلغراف غاية الافتقار وهي تمخر في عرض البحار. وقد اجروا لهُ تجارب عديدة في اميركة وانكلترة وفرنسة وغيرها بشَّرت كلُّها بنجاح هذا الاختراع الذي هو الآن مطلب رجال العلم في العالم. وقد ذكرت بعض جرائد مصر ان الحكومة هناك تسعى في تأليف مركز لهذا التلغراف في ثغر الاسكندريَّة. وقد انتشر استعمال التلغراف بدون سلك على السفن البحريَّة

وفي ٤ آب من السنة الجارية استدعت الحكومة الالمانيَّة الى برلين مندوبي الدول لحضور مؤتمر للتلغراف بدون سلك وتمَّ انعقادهُ تحت رئاسة وزير البريد الذي تداول مع ٤٠ مندوبًا بشأن تنظيم اعمال التلغراف الاثيريّ وتعميم المخابرات بواسطتهِ في البلاد الاوربيَّة

كذلك صارت المخابرات بواسطة تلغراف مركوني جارية في بلاد الانكليز على

غاية ما يرام من الدقّة والانتظام في الاعمال والكلّ هنالك يلهجون باهميّة هذا الاكتشاف وجليل فوائدهِ للعالم اجمع غير انهُ يؤخذ من الاخبار الواردة اخيرًا انهُ قد تألفت شركة المانيّة في مدينة بروكسل تسعى الآن ببيان مضارّ التلغراف بدون سلك وقد اصطنعت لذلك آلةً لمعاكسة تلغراف مركوني بحيث ان جهاز آلة هذا الاختراع يقوى على سرقة الرسائل البرقيّة التي تصدرها شركة مركونيّة

ومن الفكاهات التي روتها الجرائد ان الرئيس لوبه في اثنـاء رجوعهِ من زيارة الجزائر ارسل وهو على ظهر السفينة باشـارة تلغرافيّة الى ذويه يطمنهم عن حالتهِ وكانت قد ثارت عاصفة شديدة والبحر في هياج عظيم فلاح بعد قليـل الجواب على المرآة فاسرع الركاب لتلاوة ارقامهِ فكان: « لا يهمُّني امركم ».فاندهشوا واستغربوا ذلك وكانت احدى البواخر المارة قريباً في البحر على خطّة مقابلة قد تلقت هذه الرسـالة وارسلت هذا الجواب تفكُّها

التلفون

ولم تقف ابحاث العلماء وتجاربهم العلميّة عنـد اختراع التلغراف كما انهُ لم يقعد عزمهم ما رأوهُ من انتشار اسلاكهِ واتّساع نطاقهِ وانتظام اعمالهِ في العالم مع دقة نقل الاخبار وسرعة سيرها فان مساعيهم وانظارهم كانت لا تزال تطمح الى غاية اعظم وخطّة اسمى ولم يمضِ عشرون عاماً من انتظام التلغراف حتى تعدّدت اشغال العلماء من افرنسيس والمان واميركان في استنباط التلفون (راجع في المشرق ٤ : ١٩٤ و ٢٤٧ مقالة الاب دي انسلم في وصفهِ) واشتهر استعمالهُ اوّلًا في اميركة . امّا في اوربّة فظلّ ذاك الاختراع موضوع سخريّة القوم حتى سنة ١٨٧٥ وكان اذ ذاك قد حصل على وفاء تامّ من انتظام العمل ودقّة الصنع اهّلاهُ بعد ذلك بالانتشار العظيم حتى انّهُ بوقت وجيز قد فاقت اعمالهُ على التلغراف كثيرًا. واشتهر اليوم استعمالهُ للمخاطبة في اعظم ممالك اوربّة خصوصاً في اسوج ونروج وسويسرة والمانيـة وانكلترة وروسيّة وفرنسة وايطالية امّا الولايات المتّحدة في اميركة فلا تزال الى الآن صاحبة المقام الاول في العالم بكثرة خطوطها التلفونيّة

واحصي اخيرًا في المانية ٢٣,٧٢٩ نقطة تلغرافيّة مقابل ٢٢٩,٣٩١ محطة تلفونيّة و٤٤,٥٠٠,٠٠٠ رسالة تلغرافيّة مقابل ٦٢١,٥٠٠,٠٠٠ مخاطبة تلفونيّة فتامل عظم

هذه المسابقة بالاعمال ويقال عن برلين انها اغنى مدينة في العالم بخطوطها التلفونيَّة وذلك بنسبة تعداد اهلها الى عدد مراكزها التلفونيَّة بحيث يحصل كل ٣٦ شخصاً على محطَّة تلفون هذا وقيل ان ستوكلم قد فاقت عليها بالازدياد فيوجد فيها ٣٠,٠٠٠ نقطة تلفون وتعداد سكَّانها ٣٠٠,٠٠٠ شخص وذهب بعضهم ان مجموع محطات التلفون في المانية وحدها يربي على مجموع محطات انكلترة وروسيَّة وفرنسة وايطالية معاً

ويؤخذ من الاخبار الاخيرة انهم انجزوا مدَّ السلك التلفوني ما بين رومية وباريس وهو اطول سلك معروف الى الآن ويبلغ طولهُ ١٥٩٣ كيلومتر ويأتي بعدهُ سلك برلين الى باريس ويبلغ طولهُ ١١١٨ كيلومترًا

اما في بلادنا فالى هذه الغاية لم يحصل التلفون على رواج واقبال رغماً عمَّا نراهُ من ضرورة الاحتياج اليهِ لاجل المراسلة وقد دخل القطر المصري منذ عهد قريب وتمَّ بهذا العام مد اسلاك التلفون ما بين مصر والاسكندريَّة فصار القوم يتخاطبون بهِ هنالك مقابل اجرة خفيفة

هذا ولنقف هنا عند هذه الاختراعات الاخيرة ونسرح الطرف الى الماضي من العصور الغابرة ونتأمل بحالة بني الانسان وما كانوا يكابدونهُ من المشاق والمتاعب وراء التواصل والتراسل وما كانوا عليهِ من صعوبة طرق الاتصال وقلة وسائط التراسل وما نحن عليهِ الآن بفضل الاختراعات الاخيرة من وسائط التسهيل للتراسل وسرعة الاتصال فلهُ تعالى الشكر على ما اولى عبادهُ من النعم للقيام بامور دنياهم والترقي في سلَّم الحضارة

دقائق التعريب

لحضرة الكاتب الفاضل الاب انستاس الكرملي

قد علمتَ ممَّا قرَّرناهُ في مقالتنا السابقة في قواعد التعريب استنادًا على عصور المعرَّبات

١ً ان آخر ما انتهى اليهِ العرب انهم فضَّلوا ادخال الكلم الاعجميَّة بهيئتها الاصليَّة على مسخها او تشويهها عند نقلها الى العربيَّة فليس لاحد ان يصدَّنا عن تعقُّب آثارهم

٢ً ان ائمَّة كتَّاب العرب قد اجازوا ادخال البناء الاعجميّ في العربيَّة وقد سبق هذا القول عمل العرب نفسهم في صدر الاسلام بل وفي أوج حضارة العرب. فلماذا لا

يُريد بعض المحدثين ان يجيزوهُ لنا ؟ — أفلعلَّهم أعربُ من العرب أنفسهم ؟

٣ قد رأيتَ ان اغلب المعرَّب مخالف بناؤهُ للاوزان العربيَّة واوضاعها وصيغها. والعاقل يبني حكمهُ وقواعدهُ على الغالب فلمَ يُريد بعض الافراد ان يجبرونا على اتباع الراي الخاصّ الضعيف القليل الشواهد والمُثُل. والعَدْل عن اتباع الراي العامّ المتين الاركان والكثير الأشباه والنظائر. أفمن العدل. عذل أتباع العدل ؟

٤ انك اذا تصرَّفت بالكلمة العجميَّة فزدتَ عليها او نقَّصت منها فرُبَّما ادَّى هذا التغيير الى اخراج الكلمة من صورةٍ الى صورةٍ أخرى. ومن ثم من معنًى الى معنًى آخر. وحينئذٍ يختلط عليك الحابل بالنابل. ولم تستطع بعد ذلك تمييز الحقّ من الباطل. فلقد سمعتُ احدهم يقول: « ان لفظة مِكْرُسكوب » لا يشابهُ بناؤها بناء عربيًّا فيحسن بنا ان نتصرَّف بهذا البناء الغريب ولْنَقُل « مِكْروب ». وقال آخر هذا التصرُّف يوقعنا في الوهم بين المكرسكوب والمكروب والأنسب ان نقول « مُكَرْكَب » فهذا الوزن عربي محض ولا ضرر من اتخاذهِ فانهُ يبعدنا عن اللُّبس. فنهض ثالث وقال: والاحسن ان نقول كركوب لان الميم والسين من حروف الزيادة ولا ينتج من حذفها ضررٌ. وقال رابع غير ما قالهُ اصدقاؤهُ. وقال خامس . . . وقال سادس الى آخر ما يمكن هناك حذفهُ وتغييرهُ. ولمَّا لم يحصلوا على نتيجة اقدموا على تعريب لفظة « مكروب »

فقال الاوَّل: لا يمكننا ان نترك هذه اللفظة بكسر اولها لانهُ لم يرد وزنٌ عند العرب بهذه الصورة والاحسن ان نقول « مَكروب » فيكون مفعول بمعنى فاعل كما قالوا : « حجابٌ مستور » بمعنى ساتر و « وعد مأتيّ » اي آتٍ . وعليهِ فمعنى مَكروب « كارب » لانهُ يكرب الجسم . فناهضهُ ثانٍ وقال : العلَّك تظنّ ان المكروبات كلها « كوارب » مضرَّة بالجسم فان منها ما هي نافعة لهُ وواقية لسلامتهِ فلهذا أعرض أنا على الحضور ان يقولوا في تعريب مكروب « كَروب » حاذفين منها ميم الزيادة. فقام احدهم وقال: اذن جعلنا كروبي السماء كلَّهم من المكروب والعكس بالعكس. وهو امرٌ في منتهى السخافة. فأُشير عليكم ان تقولوا في تعريبها « رَوْب » فضحك الجلاَّس وقالوا: فان كان المكروب اصبح عندنا « رَوْبًا » فما اكثر الرَّوْب في كل مكانٍ وما ايسر الحصول عليهِ بدون مشترًى. وقال غير هذا كلاماً آخر حتى

اصبحت تلك الجلسة من اضحك المضحكات لان الكلمة الواحدة قد تُمسخ بصور عديدة فتأتي بمعانٍ متضاربة مختلفة وكلها « مسبوكة في قالبٍ عربيّ لا تتشوّه بهِ هيئة اللغة » بل ولا خوف على ان تتشوّه بهِ اذ هي في حِرْز حريز من ذلك الّا ان المعاني فقط تتشوّه بهِ لا غير. وليس هذا بخطبٍ جلَل عندك. الّا انهُ عند الغير من اعظم الخطوب والبلايا. وما مثَلك الّا مثَل من عمل قلنسوةً لآخر وبعد ان اتمّها وجدها صغيرة بالنسبة الى راس صاحبهِ فقال لهُ: « الامر هيّن دَعْني ان أُصغّر حجم راسك بهذه المطرقة لكي يدخل راسك القلنسوة » وما قال هذا حتى بدأ بعملهِ على اسرع طريقةٍ وافيةٍ بالغرض ولمّا اتى عليهِ ووضع القلنسوة على راسهِ وجدها على احسن ما يُرام إذ لا عيب فيها ولم يبقَ في رأس الرجل زيادة او نقصان سوى انهُ لا حياة فيهِ. وهو امرٌ زهيد بالنسبة الى هيئة القلنسوة وصورتها وحجمها لا الى حفظ الراس وصاحبهِ وحياتهِ. ومن ثمّ فعلى رايك انك تُفضِّل التصرُّف بهيئة الراس على التصرف بهيئة القلنسوة كما انك تفضّل تغيير المعنى (وهو الامر الجوهري من وضع الكلمة) على عدم مسّ هيئة هذه الكلمة (وهو الامر العرضي فيها) فتأمل بفكرٍ خالٍ من الغرض

٥ ها قد رأيت انك اذا تصرَّفت بالكلمة على وجهٍ من الوجوه فقد يكون تصرُّفك هذا لا يُوافق تصرُّف صديقك بالكلمة نفسها كما تحقَّقت قُبيل هذا وكما تتحقَّقهُ الآن اذ قد شهدتُ رواية مضحكةً مُثِّلت بخصوص ثلاثة الفاظ عرَّبها احد الكتّاب المحدثين فنقلها الى اوزان عربيَّة والتزم لذلك الى حذف ما فيها من الزوائد تطبيقاً لها على الابنية العربيَّة فمسخها كل المسخ فقال في القرد المعروف بالشِمپانزى (chimpanzè) « شَبَنْزَى ». وفي مادَّة الكُتّا بَرْخا (gutta-percha) « طَبَرْخى » ليلحقهما بوزن سفرجل. وفي القرد كُورِلّا (gorille) « غِرِلّ » ليلحقهُ بوزن سجلّ. ولعلّك تُقرِّع ناسجي بُرْدَة تلك الرواية وتوافق الواضع وتقول: ولماذا هذه السُخريّة وواضع تلك الألفاظ بتلك القوالب العربيَّة نحا فيها مناحيَ العرب فجاءت كأنها من ألفاظ عرب الجاهليَّة

قلتُ: يُعترض عليهِ: ١ انهُ كان يمكن ان تُسبك تلك الألفاظ بقوالب غير القوالب التي سبكها بها المعرّب كما اشرنا اليهِ في موطنهِ. وقد تكون كلُّها عربيَّة البناء محضة الوزان — ٢ قد كان يمكن ان توزن باوزان اقرب الى الاصل من هذه اليها. مثلاً

ان يُقال في الشِنْياترى: « الشمباز او الشَنْبَزَة » وان يُقال في الكُتَّابِرخا: « الكَتابر او القُطَّاء او البرخا » اي اماً بحذف صدر الكلمة واماً بحذف عجزها وعلى ذلك شواهد كثيرة عند العرب. وان يُقال في كُورلا: « القَوْرَل او الجورَلى او الكورَلاّء او السكِرِلّى او الجِرِلّى » وعلى كل حالٍ فان الكاتب اخطأ في وضع الغين عوضاً من الجيم او القاف او الكاف لان العرب قد صرّحوا كل التصريح بانهم يبدلون من الحرف الذي بين الكاف والجيم (اي الكاف الفارسيّة) الجيم لقربها منها. وربّما ابدلوها من القاف او الكاف لانهما قريبان ايضاً منها. واماً إبدالها من الغين فلم يُصرّح بذلك احد بمنزلة قاعدة يُجرَى عليها. ومن ثم فالكاتب لم يَنحُ في ذلك مناحي العرب. نعم اننا لا ننكر ان بعض الألفاظ الاعجميّة التي وردت فيها الكاف الفارسيّة قد أُبدلت فيها من الغين كما في جغرافية مثلاً الّا ان أغلب هذه الألفاظ من تعريب ضعفاء النَقَلة او التراجمة. اما العرب الخُلَّص او الأقدمون فلم يفعلوا ذلك او فعلوهُ قليلاً بحيث انهُ لا يُتَّخذ حُجّة ولا يُبنى عليهِ حكمٌ عامٌّ — ٣ لنفرض ايها القارئ الحكَم الحكيم انك قرأت تلك الألفاظ في كتاب من الكتب الحديثة فهل من طاقتك ان تهتدي من نفسك الى معناها عند اوّل سماعك اياها. فلا غرو انك تبادر الى التنقير عنها في كتب العرب العلميّة واللغويّة لانك تجدها تُشابهُ اوضاعهم وأبنيتهم. فاذا رجعت بها وانتَ اخيبُ من حُنَيْن فلا مراء انك تطلبها حينئذٍ في المعاجم الافرنجيّة واذ لم ترَ كتابة تهجئتها فتسعى كلّ السعي في التنقير عنها فربّما تعثر بها وربّما لم تعثر بها ايضاً. وانت قد صرفت مع ذلك جانباً عظيماً من الزمان وكل ذلك في طلب معنى لفظة واحدة. فما القول اذا كانت الكلم عشراتٍ او مئاتٍ او آلافاً؟ ولعلّك تقول: قد تُلافى هذه الشائبة بان يقرن الكاتب اللفظة المعرّبة الملحقة ببناء العرب باللفظة الاعجميّة مكتوبة بحروف افرنجية او بحروف عربية تصوّر اللفظة الدخيلة على اصلها. وحينئذٍ اذا ما عرفنا معنى الكلمة المعرّبة والاصل المأخوذة عنهُ لم نَعُد نحتاج بعد ذلك الى ردفها بالكلمة الاعجمية الاولى. فما الصعوبة اذن الّا في اول تعريبها. قلنا: اذا كان الامر كذلك فقد جعلنا المشقّة مشقّتين وعوضنا عن البليّة ببليّتين. اذ ان الصعوبة بل وكل الصعوبة متوقفة على مستهلّ الامر. او لا تعلم ان من شان المرء طلبهُ الراحة والسهولة في جميع امورهِ ولذا تراهُ يسعى في ان لا يجد عقَبات في طريقهِ حتى ولا واحدة. افلعلّك

تجهل هذا وانت اخبر مني بهِ. اوَ لم تَقُل ان في ذلك صعوبةً وعلى الاقل في غرَّة الامر. والحال اني اوكد لك كل التاكيد ان لا صعوبة في اتخاذ اللفظة الدخيلة بهيئتها الاصليَّة لان العرب قد سوَّغت لك ذلك كما ألمعنا اليهِ. فلماذا تريد منَّا بعد هذا ان نتبع الطريق الوعر الصعب. ولا تريد ان نمشي في السهل واللَحب. أجِبنا

٦ ساغ للاولين من عرب الجاهليَّة ومن كانوا في صدر الاسلام التصرُّف بتلك الاعجميات من زيادة ونقصان ومتابعتهم في ذلك لانهم كانوا في عصر يسهل فيهِ تقييد تلك الروايات حينما لم تكن وسائط اخذ اللفظة ونشرها مقيَّدة بقيود كقيود هذا اليوم. لان الكتابة لم تكن يومئذٍ منتشرة انتشارها في هذا الوقت والطباعة لم تكن معروفة عندهم في ذلك العهد. فكانت الكلمة اذا ما كتبها الكاتب بصورة من الصور او نطق بها الراوي بلغةٍ من اللغات او بصيغة من الصيغ وجاء الثاني وقرأها او سمعها أتبعهُ فيها وقلَّدهُ في نقلها والتلفُّظ بها. وكل هذا قد يكون محصوراً في اناس قلائل او في عشيرة او في قبيلة او ان زدت على ذلك فقد تنتشر تلك الكلمة في بلاد العرب كلها في مواسم الاسواق او الحجّ ولا تزدْ على ذلك. واماَّ اليوم فشروط انتشار اللفظة الواحدة دفعةً في جميع البلاد التي يتكلَّم اصحابها بالعربيَّة متوفِّرة كلّ التوفُّر بواسطة المطبوعات إنْ في اخذها وان في نقلها. امَّا في نقلها فالامر ظاهر لا يحتاج الى اثباتٍ واماَّ في اخذها فلأنَّنا اذا ادخلنا الكلمة الاعجميَّة اخذناها عن حروف الافرنج في كتبهم ومطبوعاتهم لا عن حروف العرب. واذا نقلناها عن اولئك نقلناها بالصورة التي يتلفَّظ بها اهلها. ويكون ذلك بهيئة واحدة فحينئذٍ يكون نقلها على وتيرةٍ واحدة او تكاد واماَّ اذا اردنا نقلها الى العربيَّة والحاقها ببناء عربيّ محض فقد تختلف فيها الصور واللغات والروايات الى ما لا حدّ لها وكلّ منَّا يحاول ان يُخالف صاحبهُ ويؤيد مدَّعاهُ بالبراهين المقنعة لينتصر عليهِ ويفتخر بغلبتهِ وفوزهِ. ومن ثم يجري كل واحدٍ على ما يهواهُ هواهُ والكلمة في تلك المطاوي عُرضة للتمثيل والتنكيل بها على ايدي الكتَّاب. أفليس الاحسن اذن ان تتَّفق اراؤنا مع آراء كتَّاب الاجانب الذين ناخذ عنهم ونترك الكلمة بالحالة التي وُجدت بها في عالم الكتابة والنطق

٧ وقائل يقول: يُتلافى هذا الامر اي اختلاف التصرُّف باللفظة الواحدة على اوجهٍ

شتّى بان يُعقد مجمع لغويّ يُوكل اليهِ النظر في هذه المسئلة بحيث لا تُقبلُ الكلمة بعد ذلك الّا على الوجه الذي اقرّهُ عليهِ المجمع — قلنا: ما عدا ان في عَقْد هذا المجمع صعوباتٍ جمّة لا يزيلها الّا ان يتألف بامر دولةٍ يمكنها ان تعضد اعضاءهُ في جميع شؤونهم ومشروعاتهم وتمدّهم بالمال. وتساعدهم على ترقية الحال. وتكثر لهم وسائل انهاض همم الرجال. فقد يجوز للكاتب ان يقول بعد هذا كلّهِ: اني حرٌّ في نبذ راي هذا المجمع او مقالهِ او قرارهِ لانّ اصحابهُ لم يجروا او لا يجرون على ما سنّهُ العرب من ان اللفظة قد تُعرَّب بهيئتها وتبقى على غَرْبها

ثم انهُ لا يحقُّ لهذا المجمع اللغويّ ان يتصرّف بالكلم العلميّة او الصناعيّة على ما يشاء. لان المجامع اللغويّة التي أُقيمت في بلاد الافرنج لم يكن اصحابها في غنًى عنها في العهد الذي أُنشئت فيهِ اي في العصر الذي اخذت لغتُها تنفصل عن أُمها شيئًا فشيئًا وتستقلّ بنفسها وتعيش بذاتها فتحتّم على شيوخ تلك الأُمة وفحولها وعقلائها وجهابذتها على ان يجتمعوا لكي يُرتّبوا هذا النوع من الفطيم بحيث يتدرّج ويتخرّج على طريقةٍ معقولة. ولكي لا يبقى فيهِ بعد ذلك اثر للطفولة. اذا ما بلغ الكهولة. كما يُرى على حدّ هذا القياس. في بعض الافراد من الناس. ولذلك سنّوا القواعد المتينة الاساس. والضوابط المكينة الاركان. والاحكام المحكمة البنيان. ولمّا فازوا بالمرام. اي بلغ هذا الولد الجديد حدّ الكمال والتمام. اماطوا عنهُ التمائم. ولاثوا لهُ العمائم. وتركوهُ وشأنهُ غير محتاجٍ الى عناية الشيوخ بهِ كما كان يحتاج اليها في اوان قصرهِ. ولذا ترى اليوم علماء مجامعهم اللغويّة لا يتعرّضون ابدًا لشيء مما يضعهُ ارباب الفنون والمستنبطون والمكتشفون واهل الصنائع والشرائع بل وربّما خالف اصحاب العلم وغيرهِ ذلك المجمع اللغوي ولم يعتدّوا بمقالهِ الّا اذا شايعهم او وافقهم كما فعلوا في تأنيث وتذكير وجمع بعض الاسماء. وفي اتخاذ كلم جمّة لم يقبلها المجمع اللغوي. وفي ضبط كتابة بعض الألفاظ على خلاف ما صرّح بهِ المجمع والخلاصة اصبحت ايدي تلك المجامع في هذا العهد «مغلولة» من هذا القبيل» فهي لا تأتي حركة تقاوم بها ما يشيع بين ارباب الصنائع والفنون خوفًا من تعرّضهِ للهوان والاحتقار

وتتحقّق صدق كلامي من اعتبار اللغات التي لم تنشأ حديثًا مثل اليونانيّة واللاتينيّة والفارسيّة والارَميّة والارمنيّة فانها لم تحتج الى هذه المجامع اذ هي في غنًى عنها.

وكذلك قُل عن لغتنا الشريفة فانها في متَّسع عن مثل هذه الاندية لانَّها من اللغات الكاملة او المتكاملة ولان المجامع اللغويَّة التي عُقدت فيها قامت بواجباتها ووضعت ما كان يجب عليها ان تضعهُ فأتمَّت مهمَّتها ولم يبقَ لنا اليها حاجة ان كانت الغاية من تلك المجامع هذه الغاية التي يدور عليها محور كلامنا . ولا تعارضني بقولك : ان هـذه المجامع لم يأتِ ذكرها بالتاريخ . نعم انَّها ذُكرت فيه باسماء غير هذه الاسماء المتعارفة اليوم بيننا اذ انها ظهرت اولًا باسم « سوق عكاظ » ثمَّ باسم نحاة الكوفة والبصرة . فجماعتا علماء هذين البلدين اتتا من الفوائد في تمحيص اللغة وتخليصهـا من شوائب الجهل وتهذيبها على احسن وجهٍ بحيث انهُ لم يبقَ للخلَف الَّا تأثُّر السلف ليس الَّا . وهذا ما نتثبَّتهُ من مراجعة القواعد النحويَّة واللغويَّة التي وضعها الفريقان فقد ابدعا فيها حتى ان كافَّة مجامع اوربَّة اللغويَّة لم تبلغ هذا المبلغ بعد

وربَّما تقول : فعلى الاقل ان هذا الجمع نافع لترجمـة بعض الألفاظ ووضع ما يناسبها او يؤدي معناها في العربيَّة امَّا اصطلاحًا وامَّا تواطؤًا وامَّا متابعـةً للاقدمين

قلنا : نِعْمَ الرأي رأيك وحبَّذا العمل . الَّا انَّك ترى بعد هذا كلِّهِ اقوامًا منَّا يُظاهرون دائمًا الاعاجم على اوضاعهم وألفاظهم فيستعملون ما استعملوهُ ويتَّخذون ما اتخذوهُ ولا يحقُّ لك ان تُعَنِّفهم او تشدِّد عليهم بل ولا ان تقول لهم انهم لا يذودون عن حياض العربيَّة لانهم في كل ذلك يحذون حذو من تقدَّمهم من العرب إنْ في عهـد الجاهليَّة وان في ما بعدهُ . ألا ترى حرسك الله ان كثيرين من آبائنا عرفوا أحسن المعرفة عربيَّة هذه الألفاظ مثلًا : المسك والجنبذ والهاون والاشنان والميزاب والسكرّجة والجاسوس والتوت والاترجّ والكَوْسج والكَبَر والياسمين واللوبياء والسكَّر والباذنجان والنرجس فكانوا يستطيعون ان يقولوا مثـلًا : المشموم والورد والمنحاز والحرض والمثعب والثقوة والناطس والبصَّاص والفرصاد والمتك والأَطّ واللَصَف والسمسق والدُجر والبُرْت والحدج والعَبْر الَّا انَّ اغلبهم لم يفعلوا بل فضَّلوا اللفظة الاعجميَّة على العربيَّة حتى قتلت هذه تلك . بل وربَّما اشتهرت اللفظة الاعجميَّة واضمحلَّ اثر الكلمة العربيَّة كاللجام مثلًا فان اغلب اللغويين يقولون انها تعريب لكلمة الفارسيَّة . ثم اشتقُّوا منها مشتقات جمَّة واظنُّهم مصيبين بقولهم انها اعجميَّة الاصل . وان قلت لي : « وهذه من غريب الدعاوي

لان العرب من اخصّ الامم بالخيل واطولها لها مراساً — قلنا: وهـذا لا يمنع اخذهم اللفظة عن الاعاجم فان للسيف وللخمر مئلًا مئات من الاسماء. ومع ذلك ترى بينهـا اسماء اعجميَّة معرَّبة. وهل من شيء اشهر من الشمس والقمر فقد وجد مع ذلك عرب استعملوا للدلالة عنهما كلماتٍ فارسيَّة كالسِّنَّار للقمر تعريب سِنْ ماه. وحُول للشمس وهي تعريب خور [شيد] المصحَّفة والمحذوفة العجز (قال في نثار الازهار لابن منظور اللغويّ المشهور ص ١٠٢ : « للشمس اسماء وهي: . . . حول مضمومة غير معجمة اه. وهي لفظة لم اعثر عليها في دواوين اللغة) — وكلمات ارميَّة كالساهور للقمر والإلاهة للشمس . ويونانيَّـة كالسلني القمر (قال ابن منظور في الكتاب المذكور ص ٥٧ والسلتي . كذا في الاصل المطبوع الذي بيدَنا وهو من غلط الواقف على طبعهِ والاصحّ ما اوردناهُ وهو اسمهُ باليونانيَّة [σεληνη] » وقد تكلموا بهِ . اه) وايليوس للشمس [ἡλιος] (قال في نثار الازهار ص ١٠٢ واقليدرس « كذا في الاصل . والصواب ما اوردناهُ » وقد تكلَّموا بهِ ». ه)

امَّا اسبابُ تعشُّقهم للالفاظ الاعجميَّة فكثيرة. منها ما ذكرناها في موطنها ومنهـا ايضاً تشيُّعاً للاجانب ومنها ان اغلب المسمَّيات المدلول عليها بالاعجميَّات قليلة الاستعمال في حاجات اليوم فلم تشتهر عربيَّتُها اشتهار عجمتها لان هذه سبقت تلك في عالم الوجود والاصطلاح فلم يَعُد من الممكن ان تقتل الفاظُنا الحديثة النشوْ الفاظهم القديمة العهد التي رسخت قدمها بيننا وذلك أمّا لانهـا دخلت على ايدي الاعاجم. واماً لو ان العرب نطقوا بعربيتهـا لامتنع الفَهْمُ او على الاقلّ لتعسَّر ألفَهْمُ وفات المطلوب من وضع الكلم اذ انَّها جُعلت لتفي بالمقصود والألفاظ العربيَّـة تُقصّر عن ادراك شأو الكلم الاعجميَّة من هذا القبيل. ومن هذه الاسباب دواعٍ أُخرى عديدة يطول عدُّها وسردُها

وقد امتدَّ بنا النفَس في اثبات هذه الحقيقة وهو امرٌ لا بُدَّ منهُ في مثل هـذا الموضوع الخَطِر وقد أيَّدنا في كل ما سبق :

(القاعدة الأُولى) من قواعد التعريب وهي اثبات اللفظة الاعجميَّة بحروفها او بما يقاربها وبهيئتها وبنائها بدون تغيير

(القاعدة الثانية) قد تجيءُ بعض الكلم الدخيلة بلفظ الحرف الممدود قبـل

ساكنٍ صحيح كقولك « لوْرْد وكوْنت » فلا يجوز لك ان تسلّط على مثل هذه الألفاظ حكم هذه القاعدة العربيّة وهي: اذا اجتمع ساكنان (ما لم يكن على مثال دابّة ودُوَيبّة) اولهما حرف علّةٍ حُذف فيقال اذن في مثل لوردْ وكوْنت: « لُرْد وكُنْت ». قلتُ: ألا تدري ان هذا الحكم لا يجري الّا على الألفاظ العربيّة الاصل والاشتقاق. وانّ امثال الكلمتين المذكورتين هي اعجميّة ولا يحقُّ للعربيّ ان يُنَفِّذ أحكام قواعد لغته عليها فيحسُن بهِ ان يترك اللفظة العجميّة على حالتها الاصليّة ولا يعبث بهـا. والذين يجرون اليوم على ابقاء اللفظة بصورتها الاصليّة اي بساكنين اوّلهما حرفُ علّة هم اكثر من الذين يتصرّفون بهـا التصرُّف الذي تُشير اليهِ. وهذا ما فعلهُ العرب انفسهم في الألفاظ العلَميّة والعِلميّـة والجنسيّة. فمن اسماء الأعلام: فارْهْ وفِيزْهْ (هكذا صرّح التاج بضبطها) اي بتشديد الراء وضمّها ثم هاء ساكنة. وأبو إسحاق ألقُوْنكِيّ نسبة الى قُوْنكَة مدينة الاندلس. ذكر هذا الضبط اي اسكان الواو والنون علماء البلدان واللغة. وأذْفُوْنش او أدْفُوْنش. هكذا ضبطها المؤرخون. والمُوْلْتان وَخارْزَنج. الى آخر ما هناك من الاعلام العديدة. وحسبُك ان تأخذ بيدك معجم البلدان وتتصفّحهُ ترى العجب

ومن الألفاظ العِلميّة التي حفظوا فيها لفظها الاصليّ آا لُوسن قال ابن البيطار (١ : ٣): « اسم يوناني اولهُ ألِفان الأُولى منهما مهموزة ممدودة والثانية هوائيّة. . . » ومثلها آا طِرْيلَال وآا كُشار وآا رْغِيس وفيهِ ثلاثة سواكن متتابعة وآا مِلِيس وآا افشروا الخ وذكر التاج الشَّاهدَانج بالفِ بعدها هاء ساكنة وقال: « ويُقـال لهُ الشَّاهدانك والشاهدانق » . وذكر ايضاً بهـذا الضبط الرَّاهْنامج ولم يذكر الرَّهْنامج والشَّاهْفَرَّج والشَّاهْباز وفيهِ الفاظ غير هذه وكلها على ضبطها الاصليّ

ومن الاسماء الغير العلميّة. الخانْكاه وقد ضبطها الكلّ بنون ساكنة بعد الألف. والقانان بألفَين هاويتين بمعنى القان بالفٍ واحدةٍ والأُولى اصحّ لفظاً لأنها توافق الاصل ألّا انها اقلّ منها شيوعاً لكثرة تداول اللفظة على الألسن فمحَضوا تعريبها

(القاعدة الثالثة) إبدال الحروف الافرنجيّـة المتوسّطة بين حرفين من أحرفٍ عربيّة وكذلك إبدال بعض حركات الفاظهم من حركاتنا. ولهذين البَحثَين نعقد مقالتين مستقلتين ان شاء الله تعالى

(القاعدة الرابعة) قد تُختم بعض الألفاظ الاعجميَّة بأواخر لا تُشبه اواخر كلمنا او يقلّ ورود مثلها عندنا . من ذلك انتهاء الكلمة بهاء مرسومة (وهي غير هاء التخصيص) ومثل هذه الاسماء لا تأتينا الَّا من التركيَّة او الفارسيَّة وكان العرب الأقدمون يُبدلون هذه الهاء من الجيم والقاف او الكاف كما سبق الإلماع الى ذلك . الَّا انهُ لمَّا كان في لفظ الهاء الخاتمة للاسماء الفارسيَّة بعض الإشمام من الكَّاف الفارسيَّة في سابق الزمن واليوم قد تركهُ الفرس فما علينا الآن الَّا ان نجعل هذه الهاء تاء لا بل وقد سبقنا الى هذا العمل العرب انفسهم فقالوا : بُوطَة في بُوتَهْ (وان قالوا ايضاً بوتقة وبودقة) . وبالة في بَالهْ . وخوذَة في خُوذَهْ . ودَسْكَرَة في دَسْتَكَرَهْ . وطنبورة في دنبَرهْ . وطنفسة في تنفسه . الخ الخ . وعليهِ فلنقل الآن بَفْتة واصلها بافته بالفارسيَّة وهي نوع من الثياب . وهكذا سائر الألفاظ الفارسيَّة او التركيَّة الاصل الحديثة الدخول في لغتنا

واماَّ الكلم الإفرنجيَّة التي نرسمها بهذه الهاء العربيَّة فهي التي تُختم بـ « et » أوْ « é » او « e » او « ie » وبعض البلاد او المدن او اسماء الاناث المنتهية بحرف e الغير المتحرّك . فمثال ما كان مختوماً بـ « et » brochet لنوعٍ من السمك فاذا عرَّبناهُ قلنا بروشة و buffet لمائدة مفتوحة للجميع فاذا عربناها قلنا بُفَّة و fouquet لنوعٍ من الطير فاذا عرَّبناه قلنا فُوكَة وهكذا الخ (التتمَّة لعدد آخر)

يمين العلي

رواية تاريخية للاب س . ت اليسوعيّ

الفصل الرابع عشر

ان الله يحيي ويميت (تابع)

فخرج راسيوس والقلب مفعم سروراً وقبل ان يتوارى دار الورود عن نظره التفت اليها مرَّة اخيرة كأنهُ يريد ان يطبع رسمها في خيالهِ ويصون في ذاكرتهِ ما ذاقهُ من السعد بمشاهدة ربَّة تلك الدار

امَّا يهوديت فانَّ الرجاء بقرب نجاة والدها انعش قواها فتبعت من وراء نافذة حجرتها الضابط عند خروجهِ وهي تودُّ لو امكنها ان تسير معهُ للاقاة صموئيل والدها. ثم امرت الخدم والعبيد بان يفرغوا كنانة الجهد في تنظيف القصر وتهيئتهِ وتزيينهِ لاستقبال والدها. فكنتَ ترى الخشم والموالي في ذهاب واياب وطلوع ونزول لإعداد الغرف وتأثيثها بانفس الامتعة. وكان صغار العبيد من اليونان كأنهم النحل خرجت من خليَّتها للعمل في احد أيام الربيع يطوفون الجنينة وهم يتغنَّون فيقطفون الزهور ويضفرون بها الاكاليل ويتَّخذون منها النقوش البديعة والقلائد البهيَّة فيجعلونها على باب الدار ويجدلونها على طرائق هندسيَّة ويفرشون بها ساحة البيت. وارسلت يهوديت قوماً يستدعون نطس الاطبَّاء من صيداء وطرابلس ليصرفوا الهمَّة في صحَّة والدها الذي اعلمها السجَّان بولس بتوعُّكها

وكانت الفتاة تتولَّى بنفسها تدبير البيت وزينتهُ تنشَّط البعض على العمل وتبدي رأيها في احكام هندسة الدار وهنداما فتنقل وتغيِّر وتحسن حتى صار كل شيٍ طبق مرامها. وكانت مع ذلك تترصَّد كل حركات الشارع المجاور لبيتها فتلقي المرَّة بعد المرَّة نظرها اليها لعلَّها ترى الضابط قادماً مع ابيها. ولفروغ صبرها كانت تستطيل الساعات فتراها اطول من أيام الصوم. وكانت تحوم حول الساعة الرمليَّة التي في وسط حديقتها فتحركها بيدها كأنها تقرِّب بذلك وقت عَوْد ابيها

وربَّما كانت تتَّبع بفكرها كلَّ حركات راسيوس فتراهُ تارةً داخلاً الى سجن صموئيل مبشِّرًا لهُ بالنجاة وتارةً عند طيطس ليشفع في السجين وحيناً ترى اباها خارجاً من سرب الاسرى شاكرًا لمخلِّصهِ . . . الَّا ان هذه الافكار التي كانت تشغل عقل يهوديت لم تورثها غير السجس والانزعاج. وبقيت على ذلك الى رأد الضحى دون ان ترى لراسيوس اثرًا . . . فقلق بالها وزاد بلبالها ولم تدرِ سبب ذاك التأخير. وكانت تتعجَّب من الضابط كيف انهُ لم يرسل اليها احد جنودهِ ليعلمها عن علَّة ابطائهِ. ثم فكَّرت في نفسها انَّ راسيوس يكون دخل على طيطس فسُرَّ بهِ القائد وامسكهُ عندهُ. فخمَّد هذا الفكر لظى قلبها

ثم مرَّ ظهر النهار وعادت الافكار تساور قلب يهوديت فلا تدري معنى تأخُّر الضابط . . . أفيكون خدعها ؟ . . . كلاَّ انَّ راسيوس اكرم محتدًا واشرف نفساً من

ذلك . . . او يكون حبط مسعاهُ فخجل ان يأتي ويقرّ بخيبة آمالهِ . . . لكن كيف يأبى طيطس شفاعة رجلٍ فداهُ بنفسهُ . . .

ثم ارادت يهوديت ان ترسل بعض عبيدها ليطلعها على صحّة الخبر لكنّها توقّفت عن ذلك خوفًا منها بان تزيد الامور ارتباكًا وتُلقي اباها في اهوالٍ جديدة فلم يبقَ لها الّا الاعتصام بحبل الله واللواذ بالصلاة بيد انّها كانت ترى قلبها يابسًا فلم يمكنها ان تكرّر شيئًا آخر غير قولها : اللهمّ ارحم نفسي ! تحنّن على ابي

وكانت وكلت الى عبيدها بان يصعدوا سطح الدار ويتجسّسوا لها الاخبار فيسرعوا الى إعلامها . لكنّ حيّ اليهود كان يومئذٍ اشبه بقفرٍ لا يُرى فيهِ نابسٌ وكلّ اهلهِ قد تحصّنوا في بيوتهم خوفًا من ان يحلّ بهم غضب القائد الظافر . فلمّا صار المساء وكاد قلب يهوديت يتفطّر شعاعًا اذا بصوت اقدام سُمع على باب دار الورود . فصرخ الراقب : اتى الضابط

الّا انّ الضابط كان وحدهُ فدخل على يهوديت التي كاد يُغمى عليها اذ لم ترَ معهُ اباها . فرقّ لحالها راسيوس واجهش بالبكاء ثم كبح حزنهُ واخذ يقصّ على يهوديت ما قاساهُ في سبيلها وسبيل والدها قال :

« لمّا خرجتُ من دار الورود في هذا الصباح سرتُ توًّا الى الملعب وأردت ان ادخل على السجناء في دهليزهم المظلم . ولم اشكّ في ان الشُّرط اذا رأوا شارات رتبتي فتحوا لي دون عائق . لكني اذ حاولتُ الدخول اشهر الحرس سيوفهم صارخين : « قِفْ مكانك » . فسألتُ ما الامر فاجابوني انهُ لم يُسمح لاحد مطلقًا في الدخول ما لم يأت باجازة ممضاة بيد القائد الاكبر . وذلك انّ احد النصارى اسمهُ بولس كان دخل تلك الليلة بالحيلة الى سجن الاسرى واراد ان يساعد بعض اهل نحلتهِ على الفرار فقُبض عليهِ ثم امر طيطس بحجز ايّ كان عن الدخول دون رخصة منهُ

« فامضّني هذا القول لكني هممتُ من ساعتي بالذهاب الى منزل طيطس نفسهِ واتا على يقين انّ القائد لا يردّ طلبتي . فلمّا بلغتُ مقامهُ وجدت كل الابواب مقفلة فطلبتُ من الحجّاب ان يستأذنوا لي بالدخول فابوا واعلموني انّ طيطس مصاب بالحمّى وقد امر بان لا يرخّصوا لاحد بالدخول عليهِ . فكتبتُ بطاقةً ليوصلوها للقائد فلم يرض احد بنقلها فالححتُ على رئيس الحجاب ووعدتهُ المواعيد الطيّبة فكانت غاية ما نلتهُ منهُ

انهُ يسلّم البطاقة الى القائد عنـد انتهاء نوبة الحمّى . ولعلَّ النوبة تطول الى يوم الالعاب

« فاردفتُ قائلًا : « واذا طبَّق المرض على طيطس ألا يؤخرون الألعاب . فاجاب كبير الحجّاب : « كلَّا لان ابن ڤسپسيانوس لا يريد الَّا معاقبة هؤلاء العُصاة امكنهُ ان يحضر الألعاب او لم يحضرها »

وكانت يهوديت وهي تسمع هذا الكلام جامـدةً حائرةً لا تدري اهي نائمة او يقظى . فلمَّا انتهى الضابط من حديثهِ هطلت دموعها وتصاعدت زفراتهـا . فاخذ راسيوس يسلّيها وهو يمنّيها بالآمال الحسنة ويقسم بالآلهة وعلى شرفهِ انهُ لا يدع اباها يذهب فريسة الوحوش فيفديهُ بنفسهِ اذا دعا الامر الى ذلك

فكان يرتاح قلب يهوديت الى هذا الكلام لكنَّها لم تعرف كيف راسيوس يمكنهُ ان يقوم بوعده وقد سُدَّت في وجههِ كلّ المسالك . ولم يخطر على بالها انَّ هذا الضابط الكريم والشهم البطل كان مستعـدًّا على ان يأتي عملًا شريفًا حريًّا بان يُرقم على صفحات التاريخ فيخلّد لهُ ذكرًا ابديًّا

ولمَّا مدَّ الليل رواقهُ اعتذر الى يهوديت باشغالهِ العسكريَّة وودَّعها وهو يكرّر لها قسمهُ بانها ترى اباها في غد . ولمَّا خرج اوصى دوروتيا بان تجتهد اوجاع سيّدتها وتسقيها الادوية المسكّنة ليعيد الليل لها قواها وتُعدّ كلّ شيء لرجوع صموئيل

*

خرج راسيوس وسرُّهُ دفينٌ في قلبهِ دون ان يُعلم بهِ يهوديت . وانَّما الحبُّ يقوى على الموت وربَّما حمل بالانسان الى اوج الكرم والايثار . فعاد مسرعًا الى بيت لوسيليوس صديقهِ حيث كان محتلًّا كضيف امَّا لوسيليوس فكان اذ ذاك غائبًا ذهب الى لبنـان لبعض شؤونهِ . فاقفل راسيوس باب غرفتهِ وكتب ليهوديت هذه الاسطر :

« ان لم تعودي ترَيني فلا تبحثي عمَّا جرى لي . فانَّ قصوى بغيتي ان تعيشي واباكِ في الرغد والهناء . واعلمي انَّ سعادتك احبُّ اليَّ من حيـاتي فبكل طيب قلب ابذل هذه الحياة دونك لتنالي السعد والطمانينة . وان كنتُ بعد ذلك لا ابرحُ من بالك فاعدُّ ذلك اعظم جزاء الهكِ الذي اؤمل من رحمتهِ وحنوهِ ان يجمعنا يومًا في دار البقاء حيث

لا اراكِ ثانيةً تذرفين الدموع. فالوداع الوداع اني اسبقكِ وفي قلبي مطبوع ذكركِ لا يمحوهُ الموت نفسهُ...» راسيوس

وكان الضابط البطل ألحق باسمهِ ذكر حبّهِ لها فكتب اوّلًا «محبُّكِ راسيوس» ثم محا هذه الكلمة ليكون ايثارهُ خالصًا ولا يمتنّ على يهوديت بخدمتهِ لها ولابيها. وقبل ان يطوي الكتاب عاد الى مطالعتهِ فجرت عليهِ دمعة من عينيهِ فمسحها ولام نفسهُ على ضعفهِ ثم ختم الكتاب وسلّمهُ الى عبدهِ قائلًا:

ان لم ترني بعد يومين في مساء يوم الالعاب فبلّغ هذه الرسالة الى اصحاب دار الورود

وفي اثر ذلك قام راسيوس ودبّر حوائجهُ كأنهُ يتأهّب لرحلة بعيدة وختم وصيّتهُ الاخيرة. وكان اوصى فيها ليهوديت بسهمَين من سهام الشرف كان حظي بهما في حرب الفرس واضاف اليهما غصنًا يابسًا من الزيتون. وهو الغصن الذي قدّمتهُ لهُ يهوديت يوم التقت بهِ اوّل مرّةٍ (راجع المشرق ٦ : ٧٨) فاهدتهُ اياهُ لفروسيّتهِ قائلةً: «لو كان بيدي اكليل من الغار لوهبتهُ لك» وكان راسيوس اودع هذا الغصن في حُقّة وجعلهُ في جملة عقائلهِ الى ذاك العهد

ثم اوضح ايضًا عن كل نيّاتهِ. ولم يدع حتى دفنهُ دون ان يفصّل هيئتهُ. فاوصى بان ينقل جسمهُ الى رأس بيروت حيث مغارة الحمام ليدفن هناك قريبًا من البحر وتُجعل على قبرهِ صفيحة بسيطة من الرخام تُرسم عليها صورة يدين متصافحتين تحتهما اسمهُ مع هذا الشعار: «انَّ الحبَّ لأقوى من المنون»

وكان راسيوس يدبّر كل شيء بربط جأش وهدوّ عجيبين كأنهُ يُعنى بأُمور غيره أجل انهُ كان يعلم انَّ طيطس يحبُّهُ ولا يرضى بموتهِ. لكنَّهُ لم يعلم أيستطيع ان يواجه هذا القائد قبل الالعاب وهو محجوبٌ طريح الفراش. فمن ثم اعدَّ نفسهُ ليموت موت الصيد مجهولًا خاملًا مع اسرى اليهود

ثم تردّى بردائهِ العسكريّ ولبس فوقهُ بردةً سوداء حجبهُ بها وخرج في جوف الليل سائرًا الى الثكنة التي اختارها طيطس لمقامهِ. فاجتاز وسط الحرس دون يعترضهُ احد ثم طلب كبير الحجّاب فسألهُ عن حالة المحموم. فاخبره انَّ الحمّى خفّت عند المساء فاشار الاطبّاء عليهِ بان يخرج الى حدائق بيروت ليروّح النفس. فخرج متنكّرًا

دون ان يُعلم احدًا اين يذهب لئلّا يزعجهُ الثقلاء

— وهل سلّمتهُ بطاقتي

فتلجلج الحاجب ونظر راسيوس الى منضدةٍ هناك فرأى بطاقتهُ وفهم انهُ نسيها. فاحسَّ بالغضب قد كاد يأخذ منهُ ماخذهُ لكنَّهُ كبحهُ وتجلّد ولخذ البطاقة فمزّقها ثم احرقها وخرج سائرًا الى جهة الملعب

وكان الليل دامسًا شديد الحلكة والشوارع صامتة لا يُسمع فيها غير صوت حذائهِ عند طرقهِ احجار البلاط. وما سار بعض خطوات حتى صادفهُ العسس فامسكوهُ ظنًّا منهم انهُ من روّاد الليل المتلصصين. لكنَّهُ ما كاد يقرّب احدهم من وجههِ مشعلًا ليتفرّس بهِ حتى عرفهُ واعتذر اليهِ

فواصل راسيوس سيرهُ وسمع الجند وراءهُ يضحكون من لبسهِ ذاك الرداء الاسود كأنهُ من العبيد. فأثّر ضحكهم فيهِ ولولا تسرُّعهُ في سيره لعاد اليهم ليؤدّبهم

وبعد هنيهةٍ وصل راسيوس الى السجن فوجد بازاء بابهِ قسمًا من الجند المتولين على حراستهِ محلّقين يلعبون بالكعوب وكان الباقون نائمين على الحضيض مشتملين بارديتهم لرطوبة الليل فمرَّ راسيوس قريبًا منهم حتى بلغ باب السجن. واذا بسيفٍ امامهُ معترضًا فاوقفهُ صاحبهُ قائلًا: لا يجوز المرور

فنحّى راسيوس رداءهُ وكشف عن ثوبهِ فرآهُ الحارس مُطرَّفًا بالارجوان فعرف انهُ من الضبّاط ثم حدجهُ بالنظر واذا بهِ قائد فرقتهِ السادسة عشرة التي كان هو احد جنودها. فهابهُ ورفع يدهُ الى خوذتهِ مسلّمًا ثم قال:

« سيّدي ليس لاحد ان يجوز ولكن لستُ اظنّ انَّ هذا الامر لمثلك وانت اعلم باوامر طيطس ومن اكبر اصدقائهِ »

قال هذا ثم تركهُ يدخل. وسألهُ: ومتى يخرج سيّدي ؟

— بعد برهة وجيزة. ولكن اذا خرجت مع ناظر السجن عليك بالصمت فلا تنبس بكلمةٍ

قال هذا آملًا ان يبدل ثيابهُ بثياب صموئيل فيخلّص الاسير ويفديهُ بحياته

فانفتح الباب امام راسيوس وسُمع لصريرهِ صوت عظيم ثم أُطبق من ورائهِ. فسار بعض خطوات في الظلمة حتى لاح لهُ عن بعدٍ ضوءٌ ضعيف وراء باب من خشب فدفعهُ

واذا بناظر السجن اسرع ليوقفهُ عند حدّه. وكان هذا رجلًا قبيح المنظر ازرق العينين غليظ الكتفين كثّ اللحية يُدعى نوثوس فانتهر الداخل بصوت اجشّ: مَهيم

قال راسيوس: انا ضابطٌ وآتيك بمالٍ يُغنيك. ولا اطلب منك سوى ان تدعني اقوم في سجنك مقام احد اسراك

— فقهقه نوثوس قائلًا: لا اظنُّك تعرض عليَّ هذه الصفقة الّا لتربح منها. وما غايتك من ذلك ؟

— انّما اريد خلاص رجلٍ اصطنع اليَّ معروفًا فأُجازي الخير بالخير

— وما اسمهُ ؟

— صموئيل

— آه ! صموئيل ؟ وتريد خلاص هذا الرجل الذي كان سابقًا سيّدي فعاملني اسوأ معاملة. اعلم اني انا ايضًا كنت يهوديًا مثلهُ وكان اسمي يوناثان فكنت عبدًا لصموئيل وقد اختبرتُ فظاظتهُ وشراسة طباعهِ وبخلهُ ولذلك قد جحدت دينهُ وخدمتُ الرومان. واليوم يسرُّني اني أرى هذا الشيخ الظالم بين مخالبي ملقىً على حضيض السجن يكابد الاوجاع المرّة. وعمَّا قليل سأفرحُ بموتهِ وعذابهِ على رأس الملأ. وما يزيد سروري انهُ يموت وقومهُ معهُ بازاء ابناء جلدتهِ وخصوصًا بازاء ابنتهِ يهوديت لانَّ طيطس امر بان يحضر اليهود كلُّهم هذه الألعاب ليروا جزاء العصيان على الدولة

قال نوثوس ذلك بصوت يدلُّ على ما في قلبهِ من الحزازات على سيّده. امَّا راسيوس فكاد يتميَّز غضبًا على هذا الجاحد لايمان آبائهِ المنتقم من ابناء جنسهِ ولولا خوفهُ من ان يعرّض بصموئيل للخطر لما تأخّر عن قتل ذاك العلج. وعليهِ فانهُ اظهر التبسُّم وقال لنوثوس:

— حياك الله أيُّها الناظر الامين. اعلم اني اتيتُ لاختبرك فأعلم صدق خدمتك لمولاي طيطس ولو اجبتَ الى طلبي لكنت نلتَ عقابًا عظيمًا بل لأمرتُ بالقائك للوحوش مع اسراك. والآن عشْ آمنًا

وما انتهى الضابط من كلامهِ حتى انثنى راجعًا وخرج مسرعًا لئلَّا يشيع امرهُ ويتَّضح سرُّهُ

سار راسيوس وهو يعضُّ الأرَم اذ رأى انَّ حيلتهُ لم تنجح. ولكثرة ما امضَّهُ

الامر احسّ بقواهُ قد انحلّت فجلس على دكّة وجعل رأسهُ بين يديه يفكّر في ما قسم بهِ ليهوديت انّهـا ترى في غدٍ اباها . فثارت ثوائرهُ وجرت عبراتهُ قنطاً وبقي كذلك ساعةً لا يدري ما العمل . الّا انهُ عاد الى نفسهِ قائلاً : انّ ساعة الالعاب لم تأتِ بعد فانّ امامي فسحةَ يومٍ وبعض ساعات الليل فما لي لا اسعى في طلب القائد

وبينما كانت هذه الافكار تشغل بالهُ اذا بفلاّحين من لبنـان سبقوا الصبح فاتوا بحملات من الحطب والعشب ليبيعوها في المدينة فعرض عليهم بأُجرة طيّبة ان يركبوا الخيل ويسيروا على جناح السرعة الى كلّ الجهات ليفتشوا على القـائد الاعظم بكل حرص حتى إذا ما وجدوهُ بلّغوهُ رسالةً منهُ كان اوضح لهُ فيها حاجتـهُ الماسّة الى مساعدتهِ في بلاء عظيم دهمهُ . ثم سيّرهم ووعد لاوّل من يفيدهُ بوصول الرسالة بمئـة دينار . واذا اياهُ الجواب قبل ظهر النهار يؤدي ضعف هذا المبلغ للمبشّر

تلك كانت الوسيلة الاخيرة التي التجأ اليها راسيوس فان نجحت خلص صموئيل وعاد ليهوديت هناء عيشها . فامّا اذا حبطت . . . ولكن لا بُدَّ من الفوز برغبتهِ . وذلك ما حدا بهِ الى ان يرسل الى دار الورود بطاقةً كتب فيهـا هاتين الكلمتين : « ثقي فانّ الخلاص قريب » امّا هو فلم يرد ان يحضر امام ابنة صموئيل لئلّا تقف على مساعيه الباطلة

(ستأتي البقيّة)

العاديّات العربية في القطر المصريّ

نظر للاب أ. كيس مالون اليسوعيّ مدرّس اللغة القبطيّة في مكتبنا الشرقيّ

ان كان القطر المصري غنيًا بالعاديّات النفيسة الراقيـة الى ايّام الفراعنة (راجع في المشرق ٥ : ١١٠٥ مقالة الاديب توفيق افنـدي فزّح في دار العاديّات المصريّة) فانهُ ليس باقلّ غنًى بالآثار العربيّة . والحقّ يقال انّ العرب منذ الفتح الاسلاميّ على عهد عمرو بن العاص لم يزالوا مدّة نحو الف سنةٍ يزينون تلك البلاد بالابنيـة الفخيمة منها دينيّة ومنها دنيويّة يُربي عددها على المئين وهي تنبئ كلّها بمـا كان للعرب من الغيرة في مجاراة الدول الغابرة ومن طول الباع في الهندسة

١ لجنة العاديّات المصريّة العربيّة

على انَّ كرور الادهار وآفات الزمان كانت أخنت على كثير من هذه الآثار النفيسة حتى كادت تذهب فريسة الضياع والتَّلف لولا انَّ الحميَّة استفزَّت بعض اصحاب الفضل فعرضوا على الحكومة المحليَّة بان تُعقَد جمعيَّة من ذوي الخبرة واصحاب الهمَّة تكون غايتها صيانة العاديَّات العربيَّة واصلاحها وترميمها لئلَّا يستولي عليها الخراب فتُفقد آثار جليلة تُعدُّ كحلية للدين وكفخر للوطن

فلبَّت الحكومة هذه الدعوة وامرت بتنظيم لجنة يترأسها وزير الاوقاف وتكون غايتها اوَّلًا تدوين كل الآثار العربيَّة التي لهـا في مصر شأنٌ ما سواء كان من حيث صناعتها او من حيث تاريخها. ثانيًا العنـاية بهذه الآثار لئلَّا تخرب او تُفقد او يصيبها ضرر. ثالثًا تلافي ما خرب منها بترميمهِ او اصلاحهِ مع درس اقرب الوسائل الى ذلك. وقد صادق جلالة الخديويّ محمَّد توفيق على تشكيل هذه اللجنة بقرارٍ منهُ صدر في ٢٦ محرَّم سنة ١٢٩٩ (١٨ كـ ١ سنة ١٨٨١)

وكان اعضاء هذه اللجنة رجالًا من اهل الفضـل يُعرفون بحبِّهم للعلوم ويقدّرون الآثار العربيَّة قدرها في مقدَّمتهم دولة الوزيرين مصطفى فهمي باشا ومحمود سامي باشا ثم الفلكيان الشهيران محمود بك واسمعيل بك ثم فرنتس باشا وروجرس بك ودغران بك وعزَّت بك ويعقوب افندي صبري والاثريّ بودري وعليّ افندي فهمي. وأُضيف اليهم في السنة المقبلة العالمان حُسَين فهمي باشا والمسيو بورجوان الفرنسي. وممَّن اشتهروا بعد ذلك بصدق خدمهم المسيو مانسكالكو بك والمسيو هرتس بك

واوَّل جلسة عُقدت للقيام بهذا المشروع الخطير كانت في مساء الاربعاء غرَّة شباط من سنة ١٨٨٢ في دار وزارة الاوقاف تصدَّر فيها سعادة محمَّد زاكي باشا. تمَّ فيها تنظيم اللجنة وتقسيم الاعمال على كلٍّ من اعضائها كصاحب السجلَّات وكاتب الاسرار وضابط الصندوق والمهندسين والمثمّنين الى غير ذلك مما يقرّب الشغل ويسهّل الاعمال

واخذت الجمعيَّة مذ ذاك الحين تعقد جلسات نظاميَّة مرَّة في الشهر الَّا فصـل الصيف اعني من حزيران الى تشرين الاوَّل. ولها في كل سنة نشرةٌ افرنسيَّة هي لسان حالها تفصّل فيها ما دار بين اعضائها من الامور الحريَّة بالذكر وهي تُطبع على نفقات

الحكومة في مطبعة المكتب الافرنسي. وقد اهدتنا الجمعيّة هذه النشرة وهي عبارة عن عشرين جزءاً لكلّ سنة جزء معدّل صفحاته ١٥٠ صفحة منها اقلّ واكثر حسب الظروف والموادّ. وفي صدر كل جزء اسم اللجنة Comité de conservation des Monu - ments de l'Art arabe) ثم ذكر الجلسات واوانها ومن حضرها والاعمال التي تقرّرت فيها. ثم المقالات التي تُليت فيها عن الآثار العربيّة واوصافها وتواريخها وما تحتاج اليه من الاصلاح وربّما أُلحقت هذه المقالات برسوم فوتوغرافيّة غاية في الاتقان تمثّلها ليطّلع ذوو الامر على عظم شأنها وما يُقتضى لها من النفقات لترميمها مع ضبط الحسابات السنويّة من خرج ودخل ورصيد الى غير ذلك ممّا يضمن حُسن ادارة الاعمال

وزيادةً في ترويج الامور قد قُسمت الاعمال دوائر تقوم كل دائرة بنظارة خاصّة او تُعنى بجهات مختلفة لتعمّ الفائدة كلّ انحاء القطر المصري فيقدَّم ما يجب تقديمهُ او تُستلفت الانظار الى ما هو احرى بالاصلاح

امّا النفقات التي تحتاج اليهِ كلّ هذه الاعمال الشريفة فانّما تؤخذ من مدخولات الاوقاف. فخصّص منها بالعاديّات العربيّة في السنة اربعة آلاف جنيه مصريّة وذلك الى سنة ١٨٨٦. ثم زيد في ذلك فقرّرت الحكومة اذ ذاك ان يُنفق في سبيل هذه الآثار واصلاحها في السنة ٢٠,٠٠٠ جنيه مصريّة على شرط ان تصرف الجمعيّة عنايتها الى العاديّات القبطيّة ايضاً فضلاً عن العاديّات العربيّة. فيكون مجموع ما صُرف في صيانة هذه الآثار منذ عشرين السنة نحو ٢٠٠,٠٠٠ جنيه اي نيّفاً عن ٤,٠٠٠,٠٠٠ فرنكات وهذا لعمري مبلغ وافر اعاد لمصر عدداً لا يُحصى من الابنية التي كان الدهر طحنها بكلكلهِ لولا همّة هذه الجمعيّة واريحيّة الحكومة

٢ المتحف العربي

وممّا يدخل في نظارة لجنة العاديّات المصريّة المتحف العربيّ. وذلك انّ الخديوي الاسبق اسمعيل باشا كان فكّر في انشائهِ منذ سنة ١٨٦٩ الّا انّ هذا الفكر لم يخرج الى حيّز الوجود الّا سنة ١٨٨٠ على عهد الخديوي محمد توفيق باشا اذ تقدم الى ادارة الاوقاف بان تُجمع في مكان واحد كل الآثار العربية الصناعية من امتعة واواني ونقود وكتابات. وعُهد بالامر الى رجل ذي دراية وهو فرنتس باشا. وخصّص لهذا المتحف احد ايوانات جامع الحاكم في جهتهِ الشرقيّة

وقام فرنتس باشا بهذه المهمّة احسن قيام واستعان على ذلك برجلين شهيرين عُرفا بتوقُّد الذهن وسعة المعارف وهما سعادة يعقوب ارتين باشا وروجرس بك ولم يزل يفرغ في تنظيم هذا المتحف وتأثيثهِ غاية جهده حتى صار بعد قليل حافلًا بالآثار التي ضاق دونها المكان

وفي سنة ١٨٨٣ نُقلت هذه الآثار الى بنـاية واسعة كانت في صحن جامع الحاكم فأُودعت فيها. ولم تزل تتوفَّر وتكثر مدَّة عشر سنوات حتى تراكمت بعضها فوق البعض لضيق المكان ورأى اصحاب الامر انهُ لا بُدَّ لهذه الكنوز من قصر اهل بها يُبنى ويُهندس لهذه الغاية فعوَّلوا على انشاء متحف جديد تُنقل اليـهِ ايضًا المكتبة الخديويَّة وقد خصَّت الحكومة المصريَّة لهذا العمل الخطير ٥٠,٠٠٠ جنيه وكان نجازهُ في السنة الماضية ببناء قصر بديع شُيّد عند باب الخلق وهو ذو طابقين الطابق الاعلى جُعلت فيهِ المكتبة الخديويَّة. اما الطابق الاسفل فخُصَّ بالعاديَّات التي نُقلت اليهِ آخرًا فنُظِّمت على احسن هيئة (انظر صورة هذا المتحف ص ١٠٤٤)

وبقي فرنتس باشا على نظارة العاديَّات العربيَّة الى سنة ١٨٨٧. فاستقلَّ ولم يخلفهُ احد الى سنة ١٨٩٢ حيث تولَّى ادارة هذا المتحف هرتس بك (Max Herz) واحسن التدبير فاستحقَّ ثناء كل من عرفهُ. وممَّا يعود اليهِ الفضل فيهِ قائمة هذه العاديَّات وضعها سنة ١٨٩٥ فوصف بهـا كل غرفة من غرف المتحف مع ما تتضمَّنهُ من الآثار بحيث يسهل الوقوف عليها ودرس خواصها. وقد صدَّر هذه القائمة بمقدِّمة مفيدة عن آثار العرب في مصر وزيَّنها بعدَّة تصاوير بديعة تزيدها فائدةً

ومن تصفُّح هذه القائمة تعجَّب من غنى هـذا المتحف بصنوف الآثار وضروب الصناعات التي اشتغل بها العرب. فمن ذلك النقوش المصطنعة بالجصّ والشيد فانَّ فيها من التفنُّن بالاشكال البديعة ما يأخذ بمجامع النظر ومنها قطع الحجارة والرخام المنقورة بدقَّة عجيبة رُسمت فيها الصور الهندسيَّة والكتابات المزخرفة التي تزيّن الجوامع والمنابر والمحاريب وغيرها وربَّما اتَّخذ العرب لهذه الغاية ما وجدوهُ في مصر من اخربة هيا كل المصريين والرومان

ومن نفائس هذا المتحف المصوغات والجواهر واصناف المعادن التي عُني بهـا القدماء فاصطنعوا منها الاواني الثمينة من ذهب وفضَّة ونحاس. ومن كل ذلك امثلة

زهيَّة في هذا المتحف منها المناور والثريَّات وآنية الطعام والاطباق والقناديل والأقداح والاسلحة والحليّ يرتقي عهد البعض منهـا الى دولة بني طولون والى الفاطميين والايوبيين فيها كلُّها نقوش جميلة محلاَّة بالجواهر ومرصَّعة على أفانين بهية

وقد خُصَّ قسمٌ من هذا المتحف لآنية الزجاج والبلّور والصينيَّات والقطع المحلاَّة بالمينا بينها القناديل والقماقم وقلائد الزجاج وعلى اكثرها الخطوط البديعة المنمَّقة بالالوان المختلفة فيها اشعار وحكم

ومنها ايضاً الاخشاب القديمة المعروفة بالمشربيَّات ومنهـا الخرفيَّات وجلود التجليد للكتب وقماطير المخطوطات وغير ذلك مما يرى هناك ويقتضي وصفهُ صفحات طويلة. وتكلَّفت لجنة العاديَّات على جميع هذه الآثار عشرين الف جنيه. وقد قرَّرت الحكومة منذ ثلاث سنوات بان يُخصَّص في كل عام لابتياع هذه العاديَّات مدخول غلاَّت ٥٣٥ فدَّاناً من الاموال الاميريَّة وذلك يساوي نحو ٢٠٠٠ جنيه

٣ اعمال لجنة العاديَّات العربية

فلنعودنَّ الى ما قامت بهِ لجنة العاديَّات ليرى القـارئ ما ادَّتهُ من الخدم الجليلة للعلوم فنقول: انَّ اخصّ الاعمال التي وجهت اليهـا جمعيَّة العاديَّات نظرها تعود الى ستَّـة اقسام وهي الجوامع ثم المقابر ثم السُّبُل ثم الوكالات والرُّبُط ثم الصهاريج ثم الابواب الاثريَّة

١ (الجوامع). ليس بين العاديَّات العربيَّة المصريَّة ما هو اخطر شأناً من الجوامع فانّ في مصر منهـا ما لا يوجد في غيرها من البـلاد لاسيَّما من حيث قدمهـا. فباشرت اللجنة اوَّلاً في ترميم جامع عمرو بن العاص في مصر العتيقة وهو اقدم الجوامع واجملها اثرًا وهو عبارة عن بناء مستطيل في وسطهِ صحن واسع تحدق بهِ اروقـة على ٣٦٦ عمودًا وفي هندستهِ شبه بهندسة هياكل قدماء المصريين

ثم اهتمَّت بالجامع المنسوب الى احمد بن طولون وهـذا الجامع بُني سنة ٨٧٦ بالآجرّ على منوال جامع عمرو قريباً من الفسطاط وهو اكبر منهُ قد اتَّخذهُ المهندسون كمثالٍ جروا عليهِ في بناء الجوامع المصريَّة. وقد تقلَّب الدهر على هذا الجامع فطمس محاسنهُ حتى اعادت لهُ رونقهُ جمعيَّة العاديَّات فرمَّمت ما خرب منهُ وحفرت حولهُ فازالت

ما تراكم من الردوم ثمَّ دعمت اساسهُ بدعائم متينةٍ وجدّدت زينة محرابهِ البديع وفيهِ عواميد بوزنطيَّة جميلة دقيقة الصنع وفسيفساء من الذهب وغير ذلك

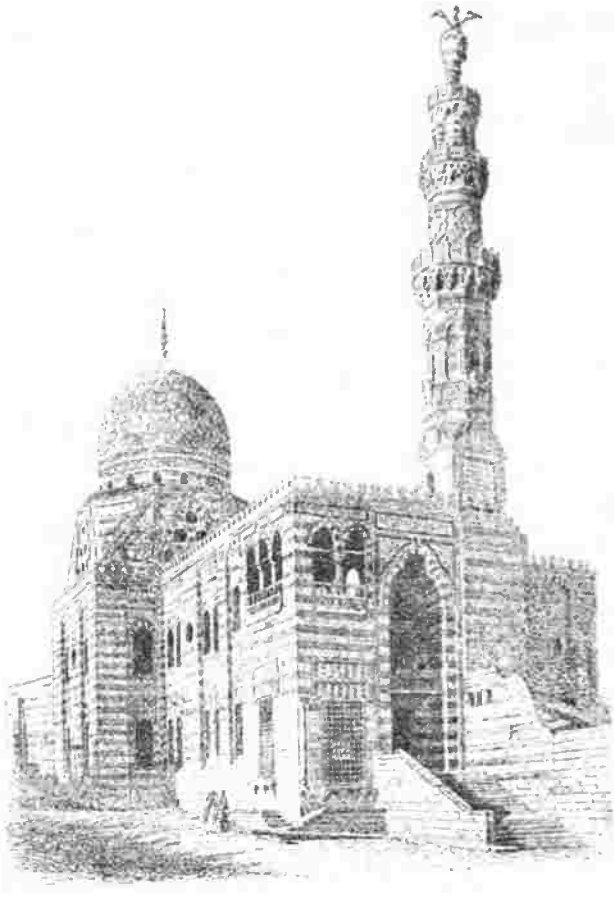

جامع قايتباي

ثم عُنيت ايضاً باصلاحات مهمَّة في الجامع الازهر وجامع المهمندار في دار الاحمر وجامع الحاكم وجامع الاقمر وكلُّها مبنيَّة على عهد الدولة الفاطميَّة. وكذلك رُمِّمت واصلحت جوامع عديدة بُنيت أيَّام المماليك كجامع الغوري وجامع برقوق وجامع قايتباي وجامع قجماس الاسحاقي وجامع امير آخور. وخصوصاً جامع السلطان حسن

الذي أُنفق عليهِ ٤٠,٠٠٠ جنيه مصريَّة. هذا فضلًا عن بعض الجوامع الواقعة خارجاً عن القاهرة وفي خطط المقريزي اوصاف لكل هذه الابنية نستغني عن نقلها بالاشارة اليها

٢ (القبور) كان العرب في مصر يُحكمون بناء المقابر بعد ما رأوا في قدماء المصريين من الحرص على مدافنهم وتحنيط موتاهم. فتراهم تارةً يتَّخذون الجامع فيدفنون في بعض اقسامها ملوكهم وكبارهم وتارةً يتيمون لهم المشاهد الخاصَّة يبنون فوقها البنايات الجميلة ويجعلون فوقها القبب اللطيفة والمدافن المتقنة الصنع وقد اهتمَّت لجنة العاديَّات بهذه الآثار واصلاحها. واشهر هذه المدافن ما يُعرف بمصر بقبور الخلفاء وهي عبارة عن عدَّة مساجد قُبر فيها بعض الخلفاء. فتدارکتها جماعة الآثار العربيَّة واصلحت قسماً كبيرًا منها وخصوصاً مدفني السلطان برقوق والسلطان قايتباي انظر صورتهُ في الصفحة ١٠٤٩). وكذلك رمَّمت المدفنين العجيبين اللذين قُبر فيهما الامام الشافعي والسلطانة امّ خليل المعروفة بشجرة الدرّ

٣ (السُّبُل) هي الينابيع العموميَّة التي يستقي منها الجمهور. وقد تأنَّق في صنيعها عرب مصر. وهي عادة لاحقة بالجوامع تُقام فوق الصهاريج فيُجعل لها صوانٌ من الحديد وكثيرًا ما يجعَل فوق هذا الصوان بناء يُصعَد اليهِ بسلَّم ويظلِّلهُ عريش مزخرف من الخشب ينتهي بنقوش غاية في الدقَّة ويستند الى عمد لطيفة تُناط بها القناديل الملوَّنة. وتلك الحجرة تُتَّخذ كمكتب للاحداث. وقد اصلحت لجنة العاديَّات العربيَّة كثيرًا من هذه السُّبُل نخصُّ منها بالذكر سبيل السلطان فرج بن برقوق وسبيل الامامين وسبيل عبد الرحمان كتخودا وسبيل الغوري وسبيل الملك الصالح نجم الدين أيُّوب وسبيل خسرو باشا وسبيل الامير شيخو

٤ (الوكالات والرُّبُط) يدعو المصريُّون وكالةً الخان يتزلهُ الغرباء ويجعلون فيهِ بضائعهم. وفي مصر منها كثير يُدخل اليها بابواب فخيمة جميلة وفي وسطها صحن متَّسع تنزل فيهِ القوافل وعلى دائرة الوكالة حُجَر واروقة يسكنها الغرباء وفوق هذه الاروقة طابق او اكثر. امَّا الربط فهي مقامات الصالحين ينزلها الدراويش فيتفرَّغون فيها للعبادة. وقد ذكر منها المقريزي اثني عشر رباطاً ثلاثة منها للنساء ولم يبقَ منها اليوم سوى بعضها

وممَّا صرفت اليهِ لجنة العاديَّات نظرها من هذا القبيل وكالة قايتباي المجاورة

للازهر يسكنها اليوم طلبة هذا الجامع فصرفت على اصلاحها مبلغاً وافراً. وكذلك رمّمت رباط السلطان اينال في حي خريفيش وهو اعظم هذه الرباطات شأناً واجملها هندسةً وقد اعادت الكتابةَ الدائرة التي كانت على بابهِ يُستفاد منها اسم منشئ هذا الرباط وهو السلطان الملك الاشرف ابو نصر اينال

وقد اسعد الحظّ ناظر المتحف العربي العلّامة هرتس بك بان يجد اخربة رباط آخر ذكرهُ المقريزي وهو رباط الآثار كان الخراب استولى عليهِ فنسيهُ العلماء حتى اهتدى اليهِ هرتس بك سنة ١٩٠٠ استناداً الى فقرةٍ قرأها في تاريخ الجبرتي وورد فيها تعريف موقع هذا الرباط على ضفّة النيل في مصر العتيقة

٥ (الابواب الفخيمة) هذه الابواب ثلاثة تُرى في مصر العتيقة وهي باب الفتوح وباب النصر وباب زُوَيلة بُنيت على عهد الفاطميين بناها ثلاثة اخوة مهندسين دعاهما البدر الجمالي وزير المستنصر. وليست هذه الابنية على الطرز العربي. لكنَّ جمعيّة العاديّات احبّت حفظها وانفقت الف جنيه مصريّة في ترميمها . وكذلك اصلحت باب المتولّي الذي موقعهُ على سور القاهرة القديم وباب خان الجليل

٦ (الصهاريج) وهي احواض للمياه بُنيت في مصر السفلى وخصوصاً في الاسكندريّة لتخزن فيها مياه النيل. وهذه الاحواض مبنيّة بناء جميلًا على اشكال هندسيّة غاية في الاتقان. وقد ذكر احد سيّاح الفرنج هذه الصهاريج وهو المسيو دي تفنه (de Thévenet) وكان زارها في اواخر القرن السابع عشر فنظمها في جملة الاعمال الشريفة العجيبة وقال انّها اشبه بمدينة بُنيت تحت مدينة الاسكندريّة لها ازقّتها وشوارعها وحوانيتها مع عدد لا يُحصى من العواميد

وهذه الصهاريج منقورة في الصخر او مبنيّة على اشكال هندسيّة عجيبة يرقى عهدها الى ايّام الاسكندر امر بابتنائها ليزوّد الاهلين بالمياه العذبة وكانت المياه تأتي هذه الصهاريج مارّة بقنيّ تتصل بالخليج المعروف اليوم بخليج محمودية. ولجنة العاديات العربيّة قد خصّت هذا البناء بمبلغ من المال فرمّمت ما رأتهُ بينها احسن هندامًا

وقد اتّخذ العرب صهاريج غيرها منها صهريج النبيه وصهريج مورو المعروف بصهريج البدوي وهي جميلة البناء لها القبب المرتفعة الّا انّها خربة لم ترمّم بعد

هذه بعض اعمال لجنة العاديّات المصريّة العربيّة تنبئ بما لاصحابها من الهمّة

القعساء في احياء الآثار الغابرة. ومُذ عُهد اليها امر العاديّات القبطيّة قد زادت على فضلها فضلًا بانّها اهتمّت بترميم بعض المعابد القديمة منها كنيسة انبا شنوده وكنيسة ابي سيفين وكنيسة ماري جرجس ولكل هذه الابنية خواصّ هندسيّة هي كشواهد حيّة على طرائق قدماء المصريين في صناعة البناء فهي حريّة بان تُصان. وكذلك يشكر العلما هذه اللجنة على اعتنائها باصلاح بعض بيوت الخاصّة لمآثرها الجميلة او لفوائدها التاريخيّة نخصّ منها بالذكر دار جمال الدين في (خوش قدم) في مصر ودار صخر الدين ابراهيم بن لكمان التي انزل فيها الملكُ المعظّم توران شاه القديس لويس ملك فرنسة بعد موقعة المنصورة من تاريخ ٣ محرّم الى ٣ صفر عام ٦٤٨ هـ (١٢٥١م)

وفي الختام نكرّر شكرنا للجنة العاديّات العربيّة ونحضّ اهل بلادنا على تتقفّي اعقابها بصيانة آثار اسلافنا والعناية بها وترميمها كذخائر علميّة ابقوها لنا تشهد على مداركهم وعلوّ هممهم وتبعث فينا الحميّة لنسير على مسالكهم

مطبوعات شرقية جديدة

SCHAUIA IN MAROCCO
eine historische Studie von G. Kampffmeyer
الشاويّة في مرّاكش

قد عرف قرّاؤنا الكرام ما للدكتور كمپفاير من الضلاعة في الابحاث اللغويّة الشرقيّة كفانا شاهدًا على قولنا ما ابداهُ من دقّة النظر وسعة العلم في مقالتهِ عن الباء العاميّة (المشرق ٣: ٩٨٧) والعجيب من ذلك انّ لصاحب هذه المطالب آراء غاية في الجود والصواب وهو لم يطأ ارضًا شرقيّة. على انّهُ عُهد اليهِ ببعثة علميّة في ربيع سنة ١٩٠١ الى مرّاكش فعاد منها الدكتور وفي يدهِ موادّ جديدة لدروسهِ فنشر آخرًا منها بحثًا في آثار بعض نواحي مرّاكش تُدعى بالشاوية. فوصف احياء اهلها وذكر تاريخهم واستدلّ بتقلّباتهم في السُكنى وبآثار لغتهم على ما لهم من العلاقة بقبائل عرب الجنوب ولهجاتهم. ولولا ما يقتضيهِ هذا البحث من التفاصيل الدقيقة لأتسعنا في وصفهِ ليرى الشرقيون خطر هذه المباحث اللغويّة وفائدتها لدرس لهجات بلادنا العاميّة. ونكتفي بالاشارة شاكرين للدكتور كمپفاير همّتهُ العالية في تعزيز الآداب الشرقيّة. ومهنّئين

لجنابهِ عمَّا نال من الامتيازات لدى المكتب الشرقي الالماني في برلين وهو قد جعلهُ ناظرًا لخزانة كتبهِ ومكاتبًا عاديًّا لمجلتهِ المعدودة من اعظم المجلَّات الشرقيَّة في اوربَّة ه.ل

* **Te'ezâza Sanbat**

Texte éthiopien, publié et traduit par J. Halévy,
Paris, E. Bouillon, 1902, XXXV-239

وصايا السبت

في بلاد الحبش قبائل يهوديَّة تُعرف بالفلاشة لم تختلط رغمًا عن كرور الادهار بالامم المتعدّدة التي تناوبت في ملك تلك البلاد. ولغتها اليوم احدى اللغات الافريقيَّة المعروفة بالاغاؤو (agaou) لكنها لا تزال تقيم مناسكها الدينيَّة بلغة الاحباش القديمة التي تُدعى بالغيز (gheez) وان لم تفهم منها شيئًا. ولهؤلاء القوم كتب مخطوطة كترجمة الاسفار المقدَّسة وصلوات وغير ذلك. وممَّا اكتشفهُ بينهم سنة ١٨٦٧ العلَّامة هالوي مجموعٌ خُطَّ على رقّ الغزال فيهِ تسعة كتب دينيَّة اوَّلها وصايا السبت ومن تصفَّح هذه الآثار وجد فيها شيئًا من اقوال التوراة فضلًا عن حكم ووصايا ونبوَّات شتَّى ورؤيات عجيبة وحكايات خرافيَّة ينسب بعضها الى عزرا وباروك وغيرهما. ومع كثرة ما في هذا المجموع من الاغلاط احبَّ المسيو هالوي ان ينشرهُ لغرابتهِ وندرتهِ والحقهُ بترجمة افرنسيَّة مع عدَّة ملاحظات فجاء كتابًا مفيدًا لمحبّي الآثار القديمة

الطريق المستقيم الى حبّ يسوع القويم

تأليف القديس الفونس ليكوري عرَّبهُ عن الافرنسيَّة الاب ادوار سلزاني اليسوعي
طُبع بمطبعة الآباء اليسوعيين في بيروت سنة ١٩٠٣ (ص ٥٠٨)

القديس الفونس ليكوري من ائمَّة معلّمي السيرة الروحيَّة ولذلك أُولع الشرقيُّون بترجمة اعمالهِ فنقلوا منها الى العربيَّة قسمًا طيِّبًا كاللاهوت والتأمُّلات وواسطة الخلاص الكبرى وروضة الواعظ واعجاد مريم وغير ذلك ممَّا تهذَّبُ بمطالعتهِ النفوس التقيَّة. ودونك اليوم تأليفًا جديدًا من مصنَّفات هذا الملفان العظيم نقلهُ حضرة الاب سلزاني اليسوعيّ الى العربيَّة وهو سفرٌ جليل وضعهُ ذلك القديس في حبّ السيد المسيح وبيَّن فيهِ بيانًا واضحًا الاسباب التي تحمل المسيحيّ على محبَّة الربّ ثمَّ يرشد المؤمن الى الوسائل التي تمكّنهُ من هذه المحبَّة الخلاصية وهو يشفع كلّ فصل بامثال تؤيد قولهُ وتقرّب منالهُ. فنثني على المترجم ونتمنَّى لكتابهِ رواجًا بين الطوائف الكاثوليكيَّة

الاخاء المتين بين العلم والدين

تأليف الخوري جرجس فرج صفير (طبع بالاسكندريّة سنة ١٩٠٣ ص ٣٠٨)

قد هبَّت في مصر ريح وخيمة هي اسوأ عاقبةً من الطاعون والهواء الاصفر. ولا غرو فانَّ هذه الاوبئة لا تذهب الّا بالاجساد امَّا تلك فتصيب النفوس وتفسد الاخلاق وتقوّض اركان المجتمع الانسانيّ. نريد التعاليم الباطلة والمزاعم الكاذبة التي يبثُّها قومٌ من اهل الكفر على رؤوس الاشهاد. وممَّن نشروا لواء هذه الآراء الكفريَّة صاحب مجلَّة تُدعى الجامعة تعقَّب في مجلَّتهِ آثار الجاحد رنان ورشق الدين بسهام ظنَّها مصيبة. ويسرُّنا انَّنا نرى احد افاضل القطر المصريّ قد تصدَّى لهذه الترهَّات وزيَّف بهرجتها. ألا وهو حضرة الاب الفاضل والفيلسوف العامـــل الخوري جرجس فرج صفير صاحب التآليف الفلسفيَّة الشهيرة. فاعمل النظر في اقوال الجامعة وبيَّن باقوى برهان انَّ كلام هذه المجلَّة سفسطيّ لا اساس لهُ وانَّ صاحبهُ يخوض ميدانًا ليس هو من فرسانهِ. وقد اتَّخذ لبيان ذلك طريقة المحاورات التي يرتاح اليها القرَّاء فاظهر عدَّة حقائق نكرها مؤلف الجامعة لاسيَّما الموافقة بين العلم والدين والاخاء بين الايمان والعقل جعلهما الله كجناحين يرتفع بهما المخلوق الى خالقهِ. وزاد على ذلك ابحاثًا اخرى مفيدة شوَّهها كاتب الجامعة وامثالهُ فتكلَّم عن مجالس التفتيش والوحي والمعجزات والتساهل الديني وغير ذلك ممَّا تسرُّ مطالعتهُ كلَّ رجل راجح العقل محبّ للحقّ. فنثني على مصنِّف هذا الكتاب اطيب الثناء. ونحضُّ كلَّ قرَّائنا على اقتناء تأليفهِ

تدبير الاطفال في الصحَّة والمرض

للدكتور اسكندر بك جريديني (مطبعة الهلال ص ٢٦٨)

هذا التأليف اوسع ما كُتب في بلادنا عن تدبير الاطفال والاحداث في الصحَّة ومداواتهم في المرض. فانَّ صاحبهُ الفاضل يتبع الطفل في اطوار حياتهِ الاولى منذ ولادتهِ الى اوَّل رشدهِ ويفرد لكلّ حالة من احوالهِ بابًا واسعًا مستوفيًا يضمّنهُ خلاصة ما سطَّرهُ نطس الاطبَّاء في عصرنا عن ذلك. ولهُ ابحاث مسهبة في دلائل صحَّـة الصغير ونموّهِ وغذائهِ ولبسهِ ونومهِ وسكناهُ وتربيتهِ الجسديَّة والعقلية والادبية. وقد خصَّ قسمًا كبيرًا من الكتاب بامراض الاطفال وتشخيص اعراضها وعلاجها الى فوائد اخرى عديدة تجعل هذا الكتاب كطبيب للعيال ودستور يرجع اليهِ ارباب البيوت عند الحاجة ل.ش

شذرات

عاديات الدياميس الرومانية منذ يوم ابرز الكاڤليار دي روسي كتابهُ الشهير المعروف بدياميس رومية لم يزل العلماء يصرفون جهدهم في استخراج الكنوز الدفينة التي لا تزال محجوبة عن العيان في اسراب رومية. ومن المطبوعات الجليلة التي أُنجزت في هذه السنة كتاب في مجلَّدين ضخمين وضعهُ السيد ڤِلْپرت فوصف فيهِ العاديات النصرانية التي وُجدت في دياميس رومية في هذه السنين الاخيرة وهذه الآثار تنقلُ عن ٦٠٠ قطعة رسمها المؤلف بالتصاوير الفوتوغرافية وحلَّى بعضها بالالوان الزاهية. واكثرها يمثِّل حياة السيد المسيح واسرارهُ وتعاليمهُ ومعتقدات كنيستهِ في العذراء مريم ورئاسة القديس بطرس والمطهر الى غير ذلك مما يشهد على ثبات الكنيسة الرومانية في عقائدها منذ عهد الرسل. وقد اهدى السيد ڤلپرت هذا الكتاب النفيس لقداسة الحبر الاعظم يوم تتويجهِ فتقبَّلهُ بالشكر مثنياً على صاحبهِ احسن ثناء.

وقاية المزروعات من الدود للمزروعات والبقول آفات عديدة منها الدود والحلزونات وما كان من جنسها. وقد لحظ الزراعي المسيو وُرْسْدِل (Worsdell) انَّ هذه الدويبَّات تحيد عن الزرائع التي يدخلها شيء من المادَّة الدبغية المعروفة بالتانين (tanin) فاخذ محلولاً مزج فيهِ قليلاً منهُ بكميَّة من الماء وسقى بهِ الزريعة فلم يعد يضرّها الدود مطلقاً. وقد كتب في ذلك مقالات استجادتها المجلَّات العلمية

شكوى باطلة قرأنا في العدد الاوَّل من جريدة الذمار وفي غيرها شكوى لا يزال يردّدها البعض اما جهلاً واما تحاملاً وهي انَّ «الجزويت» لا يهتمُّون بتعليم العربيَّة. وقد فنَّدنا هذا القول في المشرق بعدَّة مقالات نحيل اليها القرَّاء ليتحققوا بطلان هذا المزعم منها خطبة القيناها في درس العربيَّة سنة ١٨٩٨ (المشرق ١: ٦٩٩—٧٠٥) وكذلك في مقالتنا عن يوبيل كلّيتنا الفضي (٤: ١—١١) ثم في ردّنا على المقتطف في مقالة عنوانها اللغة العربيَّة في مدرستنا الكليَّة (٥: ٩٢٣—٩٣٢) حيث اوردنا اسماء تسعين مؤلفاً ممَّن تخرَّجوا في مدرستنا وضعوا نيّفاً وثلثمائة كتاب في علوم شتَّى. وما نقولهُ عن مدرستنا في بيروت يصحُّ ايضاً في مدارسنا في مصر وسنبيّنهُ ان شاء الله في فرصة أُخرى

أسئلة وأجوبة

س ارسل الينا جناب عبدُ الله افندي حكيم رسالة ضمَّنها عدَّة اسئلة عن النفس وادراكها ومواهبها وعلاقتها مع الجسد واحوالها في النوم وعند اختلال الحواس وعلوها بعد الموت وعن الحيوان وتصويراتهِ الخ الخ. ثم الحَّ علينا ان نسرع بالجواب

ج قلنا انَّ من يسأل مثل هذه السؤالات في دفعةٍ واحدة لا يدري ما يطلب فانَّ امورًا مثل هذه تقتضي مقالات مطوَّلة بل مجلَّدات ضخمة فلا يمكن الجواب عنها ببعض اسطر لاسيَّما انَّ المشرق نشر ابحاثًا عديدة في بعض هذه المباحث كردّنا على الهلال في وصف النفس البشريَّة (المشرق ١ : ١٥٤—١٥٧) ومقالة ابن العبريّ في النفس وجوهرها وخواصّها وقواها وخلودها (١ : ٧٤٥ الخ) ومقالات الاب لويس رزقال في الحسّ والمخيَّلة والذاكرة (٤ : ٥٢٩ الخ) وغير ذلك ممَّا نحيل السائل الى مراجعتهِ لئلاَّ نعيد الاشياء ذاتها دون افادة

س وسأل من غزير جناب ر. س عن الدواء لداء يصيب اشجار الدرَّاق والليمون التي بدء نموّها ثلاث او اربع سنوات فاذا اقتُلعت وجد على عروقها زغب ابيض كالقطن المندوف

دواء لداء اشجار الدراق والليمون

ج هذا الداء عفونة تصيب الاشجار لرطوبة الارض وكثرة مائها. والدواء ان تجفَّف الارض امَّا بحفر سواقٍ للماء وامَّا بوضع شيء من الكلس في التربة

س وسأل من زحلة جناب الاديب منصور ابو طقا: ١ً هل يجوز لكاهن ماروني لبس البدلة وقت القداس مثل اللاتين وهل يجوز وضع المنصفة تحت القميص. ٢ً من اي شيء تشتق كلمة اقليم. ٣ً ما معنى قولهم: ابرد من عضرس. ومن هو عضرس. ٤ً ما هي الشروط الواجبة لربح غفران التبشير؟

لبس البدلة – اشتقاق اقليم – ابرد من عضرس – شروط غفران التبشير

ج نجيب على (الاول) انَّ لكل طائفة عادات مرعيَّة لا يجوز الحيادة عنها الَّا لداعٍ شرعيّ. ٢ً تشتق كلمة اقليم من اليونانيَّة «Κλίμα» ومعناها المَيل ثم البلاد الواقعة بين خطَّين متوازيين ثمَّ القَطر. ٣ً عضرس في هذا المثل معناها الماء الجامد. ٤ً غفران التبشير منهُ جزئي يكتسب بتلاوة هذه الصلاة كلّ مرَّة عند قرع الجرس وبالجثو على الركبتين. امَّا الغفران الكامل فيكتسب مرَّةً في الشهر اذا صلَّى المؤمن هذه الصلاة كلّ ايَّام الشهر واعترف وتناول وصلَّى على نيَّات الحبر الاعظم ل.ش